الفصل الرابع

تربيـــة الطبيعـــة الانسانية فى ضوء الفـكر الاسلامى

مدخـــــل :

فى الفصل السابق عرض المؤلف للفكر الاسلامى ، وذكر أن هـذا الفـكر يؤكد قدرة الاسلام على احتواء متغيرات العصر ومتطلباته ، ومن ثم فقـد كان الدين الخالد الشامل لكل أبعاد الحياة وجوانبها • لأن الاسلام قـــادر على استيعاب الحياة فى شتى مجالاتها فقد كان طبيعيا أن يكون دين الفطرة ، ومنطق الطبيعة الانسانية السليمة • والاسلام فى استجاباته لنداء الفطـرة كان يزاول التفكير ، ويستخدم العقل ، فبه يكون التوجيه وعن طريقه يمكن الوصول للصواب وبلوغ الحقيقة والاسلام حين يدعو لاستخدام الفكر واستغلال العقل انما يراعى جانب الطاقة الانسانية ومدى امكاناتها وقدراتها ، فليس من العقل أن تكلف الطبيعة الانسانية فوق طاقتها « لا يكلف اللـــه نفسـا الا وســـعها » ومن ثم فقد كان الدين السمح المرن الذى يقدر الظروف حق قدرها، فلا يهبط بالطبيعة الانسانية الى حـد التكاسل والخمول ، ولا يرتفع بها الى حـد التعجيز والاعياء ، وانما يقف موقفا منها وسطا ، لذا كان الاسلام دينـا وسطا • والاسلام حين يجعل من مبادئه دستورا للحياة وشرعة لها ، وحين يتخذ من أسسه اطارا عاما لثقافة المجتمع الانسانى المسلم • انما يكفل بذلك بقاء المجتمع واستمراره ، فهناك من المبادىء ما يعطى المحور الثابت لحيـاة المجتمع مثل نظام الأسرة والمواريث والعبادات وغيرها ، وهناك ما يعطى المحور الدينامى لحركة المجتمع وتطوره • وعلى هذا فحياة المجتمع الاسلامى ليست حياة جامدة آسنة ، وليست حياة متقلبة غير مستقرة • وانما هى حيـــاة تجمع بين عنصرى الثبات والحركة ، والمرونة والاستقرار •

وكما عرضنا للفكر الاسلامى عرضنا أيضا للطبيعة الانسانية فى ضوء هذا الفكر ، اذ لم يكن هذا الفكر الا تحليلا للطبيعة الانسانية ، ووعيا بها ، وتوجيها وارشادا لها ، بهدف توفير السعادة والطمأنينة لها ٠

وذكرنا أن الاسلام لا يقر الثنائية ، ولا يعترف بها ، وانما يؤكد على التكامل والانسجام بين أجزاء الطبيعة الانسانية ، كذا أيضا فان الاسلام لم يقل بأثر الوراثة وحدها أو المجتمع بمفرده ، وانما قال بهما معا ٠ وهكذا فان الاسلام يؤكد التفاعل بينهما والاسلام لم يقل بالخير أو الشر فى الطبيعة الانسانية ، وانما قال بالاستعداد القابل للصياغة ٠ والاسلام حين يقول بذلك انما يؤكد على حرية الانسان ، وحثه على الاختيار ، لأنه مسئول عن سلوكه ومجازى فى النهاية على ما يقوم به من عمل ان خيرا فخير وان شرا فشر ٠ والاسلام فى تحليله للطبيعة الانسانية يؤكد على جانب الذات الفردية ، كما يؤكد على الجانب الاجتماعى فيها حيث يكمل أحدهما الآخر ٠ وفى النهاية فان الاسلام لا يقيم فوارق فى النوع ٠ وانما يضع أساسا للترابط والتكامل بين الذكر والأنثى بما يضمن للحياة ديمومتها واستمرارها ٠

وفى هذا الفصل سنعرض للفكر التربوى كاستنباط وتجسيد لمفهوم الطبيعة الانسانية فى ضوء الاسلام ٠ وسنتناول فيه النقاط التالية :

* ركائز الفكر التربوى ٠
* أهداف التربية الاسلامية ٠
* منهج التربية الاسلامية ٠
* الطريقة فى التربية الاسلامية ٠

أولا : ركائز الفكر التربوى :

من الواضح أن أى فكر تربوى لابد وأن يقوم على ركائز ثابتة قوية يتخذ منها منطلقا فى تحديد أهدافه ومناهجه وطرقه ، وليكون فى النهاية معبرا عن الفلسفة التى استق منها ، وتطبيقا للافكار والآراء التى تبنتها ودعت اليها ٠

والاسلام كدستور للحياة ، وكنظام تشريعى ، كان لابد وأن يتضمن ركائز قويـة ثابتة ، يمكن للفكر التربوى أن يستند اليها فى تخطيطه للعملية التربوية هدفـا ومنهجا وطريقـة ٠

فالتربية حين تهدف أولا الى تربيـة الانسان فانهـا تكون قـد أرست الدعائم القوية لتربية المجتمع فى نظمه ومؤسساته ٠ فتربية الانسان هـى السبيل الحق المفضى الى تربية المجتمع ٠ وقـد اكد الاسلام هذه الحقيقة ، يقول تعالى « ان اللـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فالاصلاح انما يبدأ أولا بالذات ، أو بالنفس وصلاح المجتمع مشروط بصلاح أفراده ٠ وتربية المجتمع رهينة بتربية الفـرد ٠

وفى ضوء الأبعاد المختلفة للطبيعة الانسانية ـ والتى سبق تناولهـا ـ يمكن بلورة هذه الركائز فيمـا يأتى :

(١) التـــــكامل :

والركيزة الأولى التى يقوم عليها الفكر التربوى هى التكامل ٠ وقد سبق القول بأن الاسلام لا يقر الفصل بين أجزاء الطبيعة الانسانية ٠ وتحليل هذه الطبيعة الى عناصر ، لا يعنى عدم تكاملها وانسجامها فيما بينها ، والاسلام حين يؤكد التكامل فهو يؤكده بين الجسم والروح ، والوراثة والبيئة ، والفرد والمجتمع ، والحرية والجبرية ، والذكر والأنثى ٠

ـ التكامل بين الجسم والروح :

الاسلام لا يذهب الى ما ذهبت اليه المثالية من الاعلاء من شأن الروح ، والاقلال من شأن الجسم ، وبالتالى فهو لا يحقر المطالب الجسدية ، ولا يزدرى الأعمال البدنية وهو لا يغلو غلو المسيحية فى الرهبنة والعزوف عن الحياة ٠

الاسلام يقـر المطالب البدنية ، ويؤكد الدعوة الى اشباعها بطريقتـه المشروعة يقول اللـه تعالى : « وابتغ فيمـا آتاك اللـه الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » (القصص : ٧٧) ٠ ويقول تعالى : « قل من حرم زينة

الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » (الأعراف : ٣٢) • ويقول تعالى : « يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » (البقرة : ١٦٨) • ويقول تعالى : « نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم » (البقرة : ٢٢٣) • ويقول تعالى : « كلوا من طيبات ما رزقناكم » (طه : ٨١) • ويقول تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم » (المائدة : ٨٧) •

روى عن أنس أن نفرا من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - سألوا أزواج النبى عن عمله فى السر ، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش • فحمد الله وأثنى عليه فقال : ما بال أقوام قالوا كذا لكنى أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى (١) •

فالاسلام يعى المطالب الجسدية ، ويدعو لاشباعها ، يعلم أن الجسم بحاجة الى الطعام والشراب والاتصال الجنسى • وحفاظا على البدن ، وحرصا على سلامته أوضح للانسان ما يحل له من ذلك ، فأباح الطعام ولكنه حرم أنواعا منه يقول تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ... » (المائدة : ٣) • ويجيز الشراب ، ولكنه يحرم منه ما يسكر ، ويبيح الملبس ، ويحرم منه الحرير والذهب ، والاسلام فى تحريمه لبعض أنواع الطعام والشراب والملبس ، لا يهدف الا لصالح البدن ، فهو يريد له ان يكون صحيحا قويا •

ويتضح حرص الاسلام على سلامة البدن من خلال العبادة التى تتكرر فى اليوم خمس مرات ، وهى الصلاة بما فيها من وضوء وحركة ، فالوضوء نظافة للاعضاء ، والحركة تنشيط للجسم وتجديد لخلاياه ، والرسول الكريم يدعو

---

(١) صحيح مسلم (جزء ٤) ، القاهرة ، محمد على صبيح ، ص ١٢٩ •

وانظر : عبد الله الشرقاوى ، فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى (جزء٣)، القاهرة ، مطبعة حجازى ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، ص ٢٢٣ •

لاستخدام المسواك ، ويقول « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صـــلاة » ٠

كذا أيضا يحرص الاسلام على نظافة الأوانى فيقول الرسول : « اذا ولـغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب » ٠

والاسلام يؤكد على صحة البدن ، وينادى بمـا يسمى اليوم بالحجر الصحى ، فيقول الرسول « اذا وقـع الطاعون بأرض فلا تدخلوا فيها ، واذا وقـع وأنتم فيها فلا تخرجوا منها ٠ ويقـول تعـالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان اللـه يحب المحسنين » ٠

فالاسلام يعنى بنظافة البدن وقوته ، ويحافظ على صحته ٠ ومع هـذا فلا يهمل الروح بل يدعو الى تزكيتها وتطهيرها وتحريرها من عبودية الجسد ونزعات البدن ويدعو الى التسامى بها عن الرذائل والخطايا بحيث تـكون قادرة على ضبط نزعات الجسد ورغباته فان هى فعلت ذلك كانت جديرة بأن تحقق الخلافة فى الأرض من خلال البدن ٠ فلا رهبانية فى الاسلام ولا حيوانية فيه ، بل فيـه الاعتدال والاتزان فالروح تتحقق من خلال البدن ، والبدن يؤدى وظيفته من خلال توجيهات الروح ونـداء القـلب ٠

ـ التكامل بين الوراثة والبيئـــة :

والتكامل أيضا يتضح فى الوراثة والبيئة ، فالاسلام يقر أثر الوراثة فى سلوك الانسان حتى عـلى فرض أن الوراثـة تـكون فى الجـانب الجسدى من الانسان ٠ اذ لا يمكن انكار الصفات الجسدية فى تأثيرها على السلوك والنشاط٠ كما يقـر الاسلام اثر البيئة أيضا ، ولقد سبق القول بأن الرسول الكريم يقـول « كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه وينصرانه » ، ونمط الشخصية الذى يميز فردا عن آخر انما يكون نتيجة للتفاعل بين الطبيعـة الانسانية وبين العوامل البيئية ٠ ولقد كانت الحضارة الاسلامية نتيجة بيئة

اجتماعية صالحة متحررة • والبيئة هى التى تسمح بوجود اطار ثقافى فردى الى جانب الاطار الحضارى العام • وهذا الاطار الثقافى يسمح للفرد أن يتحرك وأن يتحرر من الاطار العام فى بعض النواحى ، وأن يمارس تطبيق قدراته وامكاناته فى هذا الاطار الخاص • وهناك ارتباط دينامى بين ظروف البيئة الاجتماعية وبين كثير من الامراض النفسية والعقلية ، فكلما كانت البيئة جامدة صلبة كلما غلب سوء التكيف ، وكثرت مظاهر السلوك المنحرف • وكلما كانت البيئة صالحة مرنة كلما أمكن التكيف وقلت مظاهر السلوك المنحرف ، وأصبح المجتمع قادرا على النهوض والترقى (٢) •

فالتفاعل ضرورى بين البيئة والوراثة • ومن الصعب تقرير متى ينتهى أثر العوامل الموروثة كالذكاء ، ومتى يبدأ تأثير العوامل الثقافية • والفصل بينهما مسألة معقدة والاسلام القول بتفاعلهما معا » فمن ناحية تتأثر الصفات الفطرية الوراثية بالعوامل الثقافية التى تقرر الغرض والمدى الذى يستخدم به الفرد قدراته ، ومن ناحية أخرى تؤثر الصفات الفطرية الوراثية فى درجة ومدى وعمق استجابة الفرد لمحتوى ثقافته واتجاهاتها » (٣) •

- التكامل بين الحرية والجبرية :

وكما يقر الاسلام التكامل بين الوراثة والبيئة ، يقر أيضا التكامل بين الحرية والجبرية ، فهو يؤكد حق الفرد فى الحرية ، بل ويعتبرها جوهر العقيدة• فما كانت العقيدة الا تحريرا للانسان من ربقة العبودية لغير الله • والاسلام حين يقرر حق الانسان فى الحرية فهو لا يقرر الحرية المطلقة ، بل الحرية المنظمة ، التى تسمح بتحقيق الانسجام بين المصالح العامة والرغبات الخاصة • وحين يؤكد الاسلام بأن الفرد مخير لا مسير فانه بذلك يعنى أن

---

(٢) محمد لبيب النجيحى ، الأسس الاجتماعية للتربية (ط ٢) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٥ م ، ص ص ٥٧ - ٦٥ •

(٣) حسن الفقى ، الثقافة والتربية ، (ط ٢) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧ م ، ص ٤٠ •

الانسان يختار طريقه ، وهو حـر فى سلوكه • ولكن هناك من الاشياء مايعجز الانسان عن معرفتها أو الالمـام بأسبابها • وهنا يتخيل الانسان أنه مسير مع أن الحقيقة أن هناك حتمية تؤكد محدودية قدرات الانسان وطاقاته ، وعجزه عن انجاز ما هو فى غير مقدوره • فالتكامل يتحقق فى الطبيعة الانسانية بين الحرية والحتمية ، وهمـا غير متناقضين بل هما منسجمان ومتكاملان • فالحتمية تنظيم للحرية وتهذيب لهـا • وهمـا معـا يحافظان على بقـاء الطبيعة الانسانية مرنـة صالحة ، فلا تدفعها النفوض الى الهلاك والانساد • ولاتقعدها « الجبرية » عن العمل والنشاط والتطلع والطموح وهذا كان التعبير عن الحرية فى القرآن من خلال نصوص سلبية (٤) •

ـ التكامل بين الفرد والمجتمع :

والتكامل يتحقق أيضا بين الفرد والمجتمع ، فالاسلام يؤكد حق الفرد فى تحقيق ذاته ، ولا يذيب شخصيته فى الكيان الكبير للمجتمع ، بل يجعل لـــه سماته الخاصة وخصائصه المميزة • والاسلام مع هذا يؤكد أن الفرد انمـا يكتسب مقومات شخصيته من المجتمع ومن ثقافته ، وينبه دائما الى جـانب الاجتماعى فيـه ، ويذكره بحقوق المجتمع عليه ، وواجبه ازاءه والتكامل يتحقق من خلال الفوق بينهما وحقـا همـا متساويان الا أنهما مختلفان ، وفى ضوء هذا الاختلاف يتحقق التكامل والتوازن والانسجام •

وفى ضوء هذه الركيزة يجب أن يخطط للعملية التربوية ، بحيث تستهدف الانسان ككل متكامل فتخاطب فيه ميوله ورغباته وقيمه ومثله • وتتيح للتلميذ أن يزاول نشاطه البدنى من لعب وغيره • وتدخل فى الاعتبار هذا الجانب فى الهدف والمنهج والطريقة • كما تتيح لـه أن يسمو بروحه ويرتقى الى مستوى القيم الفاضلة والمثـل الروحية النبيلة •

---

(٤) محمـد عـزة دروزة ، الدستور القرآنى فى شئون الحياة ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٦ م ، ص ٤٠٤ •

كذلك يجب أن يوضع فى الاعتبار عنصر الوراثة والبيئة ، فتعمل التربية على توفير البيئة الصالحة السليمة التى تسمح بنمو الفرد نموا صالحا، وعلى ربط التلميذ ببيئته بحيث يتفاعل معها يؤثر فيها ويتأثر بها ، يتشرب منها قيمها وأساليبها بالشكل الذى يحقق ذاته ويؤكد كيانه الفردى المنسجم مع الكيان الكلى العام الشامل • كما تعمل التربية على التحسين من أثر الوراثة - قدر الجهد - ان كان سيئا ، أو استغلاله وتعميقه ان كان حسنا كذلك يجب على التربية أن تراعى التكامل بين الحرية والجبرية ، فتبصر التلميذ بأنه حر فى سلوكه ، ومسئول عن تصرفاته • ولكنها مع هذا تبصره بأن لطاقاته حدودا ولقدراته مدى معينا لا يحق لـه أن يتجاوزه أو يتخطاه •

ويجب أن تعمل التربية على أحداث التكامل بين الفرد والمجتمع فتبصر التلميذ بحقوقه ، وتؤكد لـه أنه حر فى بنـاء ذاته • ويجب على التربية أن تتجنب « النمطية » والتكرار بحيث لا يكون الأفراد صورة واحدة لنموذج واحد من الشخصية والتربية مع هذا يجب أن تهيء التلميذ لحياة اجتماعية يتجاوب معها ويتفاعل يأخذ منها ويعطيها ، يؤثر فيها ويتأثر بها ، ومن خلال هذا تتحقق الشخصية السوية القادرة على الوعى بالمجتمع الذى تعيش فيه•

والتربية يجب أن تستهدف التكامل فى النـوع وبين الذكر والأنثى ، فتضع أهدافها فى ضوء ذلك ، وتبنى مناهجها بمـا يحقق ذلك ، حيث تجعل منهجا مشتركا للبنين والبنات ، ومنهجا خاصا لـكل منهما يصمم فى ضوء الفروق التى تميز بينهما . وتقيم طريقتها فى التدريس على أساس مراعاة النوع فمـا يصلح للذكر قـد لا يصـلح للأنثى ، ومـا يصـلح للأنثى قـد لا يصـلح للذكر •

فيجب على التربية أن تنظر للطبيعة الانسانية نظرة متكاملة ، وأن تعمل على تنمية جوانبها المختلفة الجسمية والعقلية والنفسية والروحيـة والاجتماعيـة •

وهذه النظرة التكاملية التى يقدمها الاسلام تمثل معالجة لكل النظريات الضيقة للطبيعة الانسانية ، فالنظرة للانسان على أنه كائن بيولوجى نظرة خاطئة فالانسان لـه طبيعته العقلية والاجتماعيـة والنفسيـة والروحيـة ، والانسان الذى يغلب الجانب الحيوانى على بقية الجوانب انما يقترب من عالم الحيوان ، والذى يغلب الجانب العقلى على غيره من الجوانب يصبح انسانا جافا • والذى يغلب الجانب النفسى يصير انسانا انفعاليا غير مستقر ، والذى يغلب الجانب الاجتماعى يصير انسانا منبهم الشخصية متمتع الذات، والذى يغلب الجانب الروحى يصير انسانا عزوفا عن الحياة سلبيا نحوها •

والانسان المتكامل هو الذى ينمى جوانب شخصيته المختلفـة بشكل منسجم متكامل ، والتربية المتكاملة هى التى تدرك مطالب هذه الجوانب المختلفة كلها ، وتدرك وسيلة تنميتها الى أقصى حـد ممكن •

والاسلام يستهدف من تربية الطبيعة الانسانية بنـاء انسان يسعى الى البقاء موظفا جميع امكانيات شخصيته فى حياة انسانية بكل ما يحمل هذا اللفظ من معنى التعاون والايثار ، والتضحية والحب ، والتفكير الانسانى الخلاق ، وبامكانيات الانسان الاجتماعية ، وبامكانيـات وظائف أعضائـه المختلفـة » (٥) •

هذا عن الركيزة الاولى ، أما الركيزة الثانية فتتمثل فى :

(٢) الخبـــرة :

ونود هنا أن ننبه الى أن تناولنا لهذه الركيزة لايعنى انبهارنا «بالتحديث» أو محاولة التأليف بين الاسلام وقضايا العصر الحديثة بطريقة مصطنعة • وانما يعنينا بيـان أصالة الاسلام ، واصالة التربية الاسلامية ، فقد احتوت

---

(٥) محمود السيد سلطان ، بحوث فى التربية الاسلامية ،الكويت ، مؤسسة على جراح الصباح ، ١٩٧٨ م ، ص ١٨ ، ١٩ •

على العديد من المبادئ التربوية الأصلية ، التى يظن أنها وليدة العصر الحديث ، والمدنية الغربية • والخبرة تعنى أن يعيش التلميذ فى موقف ما يتحقق فيه التفاعل بين ميوله ودوافعه من ناحية وبين الظروف البيئية الخارجية من ناحية أخرى ، وأن يشارك فى هذا الواقف بكل جوانب شخصيته ، بجسمه وعقله ووجدانـــه •

وعلى هذا فالخبرة لاتكتسب ، ولاتنتقل من مكان الى مكان ، وهى ليست مرادفة للمعرفة أو المهارة ، وهى ليست حسية فقط ، بل حسية وعقلية وانفعالية ، وهى ليست فردية فقط ، بل واجتماعية أيضا ، وهى لاتتكرر بصورة واحدة بما فيها من عناصر وتفاعلات (٦) •

ولقد وضع « ديوى » معيارين للخبرة التربية السليمة وهما التفاعل والاستمرار التفاعل بين داخل التلميذ وخارجه ، واستمرار الخبرات ، بحيث يتحدر الى الخبرة اللاحقة قدرا ما من الخبرات السابقة ، بشكل يحقق النمو والتطور •

وبالرجوع الى تعاليم الاسلام ــ كمصدر للتربية ــ نجد التأكيد على دور الخبرة فى احداث النمو والتطوير واتخاذها اساسا فى التخطيط للعملية التربوية •

ويمكن القول بأن حياة المسلم كلها عبارة عن سلسة من الخبرات المتواصلة المستمرة التى تهدف الى صلاح المسلم وسعادته •

وفى ضوء المعيار الأول للخبرة : وهو التفاعل نجد الاسلام يعنى أيما عناية بطرفى هذا التفاعل وهما داخل الفرد وخارجه • وقد أولى الاسلام عناية بالغة لداخل الفرد وجعله المحور الاساسى لنشاط الانسان وسلوكه وقدرته على التغيير • يقول تعالى : « ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » • وعمل الاسلام

---

(٦) محمد الهادى عفيفى ، فى أصول التربية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤ م ، ص ص ١٧٠ ــ ١٧٩ •

على تنقية هذا الرجل فحرر الانسان من العبودية لغير الله ، وحرر الروح من عبودية الجسد ، وخلق الضمير الحى الواعى اليقظ الذى يحكم سلوك الانسان وتصرفاته • وأوكل للانسان مسئوليته عن سلوكه وعمله ، ووعده بالثواب وهدده بالعقاب كل ذلك كان من أجل اصلاح هذا الداخل ومن أجل تهذيب ميول الانسان واستعداداته فحارب الطمع والجشع وهذب الرغبة فى التملك ، ودعا للحلم والسماحة ونهى عن الحقد والحسد والبخل ودعا للمحبة والايثار والتعاون والأخوة •

لقد حظى داخل الانسان باهتمام بالغ من الاسلام فى الجانب الروحى والجانب الفكرى والجانب الوجدانى • وركز الاسلام على تكامل هذه الجوانب حتى يتوفر الدافع السليم والحافز الطيب •

[illegible] الانسان تمتد لتشمل خارجه – وهو الطرف الثانى فى عملية التفاعل – وقد حرص الاسلام على توفير الظروف البيئية السليمة بما سنه من نظم ، وبما شرعه من أساليب وبما وضعه من أسس وقواعد تكفل وجود بيئة اجتماعية سليمة تقوم على الحرية والعدالة والديمقراطية ، بيئة تسمح بخلق الشخصية المسلمة القادرة على المساهمة والعطاء •

وهكذا فحين يتفاعل المسلم – بما يحويه داخله من قيم حية ومثل نبيلة – مع البيئة الخارجية ، فانه بذلك يبنى ذاته المستقلة ويعمق ذاته الاجتماعية •

وفى ضوء المعيار الثانى وهو الاستمرار فاننا نجد الاسلام يؤكد على تجدد حياة المسلم واستمرارها • ومفهوم التربية المستمرة الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ان هو الا تجسيد لهذا المعيار وتطبيق له • والتربية المستمرة فى الاسلام تستثير الانسان من أعمق أعماق نفسه ، وهى تستثير كيانه كله ، ليحقق انسانيته ، وينهض برسالته ، والمسلم يسارع اليها عن رضا ، تقربا الى الله ، وهو يتخذ لها كل وسيلة ممكنة ، حتى ينمى نفسه بنفسه (٧) •

---

(٧)عبد الغنى عبود ، فى التربية الاسلامية ، (ط ١) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧ م ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ •

والتفاعل والاستمرار يمثلان الخط الأفقى والخط الرأسى للخبرة مبعث حياة الانسان ومصدر سلوكه .

وقضية الابتلاء فى القرآن الكريم هى قضية الخبرة ، يقول تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (العنكبوت : ٢ ، ٣) . ويقول الله تعالى : « فأما الانسان اذا مابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ، وأما اذا مابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن » . (الفجر ١٥ ،١٦). ويقول تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (آل عمران : ١٤٢) . ويقول تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » (البلد : ٤) . ويقول تعالى : « أيحسب الانسان أن يترك سدى » (القيامة : ٣٦) . ويقول تعالى : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (طه : ١٣٢) ، الى غير ذلك من الآيات المباركة التى تؤكد ابتلاء الانسان ، وأن حياته سلسله من الخبرات قد تكون حسنة فيزداد المؤمن ايمانا ، وقد تكون ضارة فيزداد العاصى عصيانا .

وحتى يجعل الاسلام من الخبرة خبرة مربية فانه قد كفل لها كل ضروب النجاح فزود الانسان بالحواس والعقل ، ونقى قلبه من أدران الخطيئة وأقذارها وحرر روحه من كل عبودية لغير الله ، وسخر له مافى السموات والأرض من شمس وقمر وماء وجبال ونبات وحيوان ودعاه للعمل والسعى فى الحياة ، حتى يتغلب على الصعاب ويقتحم المخاطر والأهوال .

وأبرز مايتضح أثر الخبرة المربية فى العبادات ، فالصلاة مثلا خبرة مربية، أو موقف يعيشه المسلم بكل كيانه بفكره ووجدانه وبدنه ، فيتدبر آيات الله وهو يتلوها ، ويشعر بحرارة الايمان وهو يرتلها « الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » وتخشع حواسه « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » (المؤمنون : ١ ، ٢) . ومن ثم كانت

الصلاة ناهية للانسان عن الفحشاء والمنكر يقول تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » فالصلاة المربية هى التى تحقق الهدف منها وهى تجنب الفحشاء والمنكر وما يقال فى الصلاة يقال فى الصوم ، فليس الصوم مجرد امساك عن الطعام والشراب ، وانما هو خبرة مربية يتعلم منها المسلم التعاطف والايثار وقوة الارادة ، وقوة التحمل والصبر • ولذا يقول الرسول الكريم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يترك طعامه وشرابه » •

وكذا الأمر فى الزكاة فهى موقف يتعلم فيه المؤمن روح التعاون والتكافل الاجتماعى وحتى تكون خبرة مربية فقد نهى الله تعالى عن المن والأذى فيها • ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر » (البقرة : ٢٦٤) •

والحج موقف مرب يتعلم منه المؤمن التعاطف والتآخى والتقرب الى الله • ولذا يقول الرسول الكريم : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » •

والعجيب أن الاسلام فى معالجته للخبرة المربية ينتهج أسلوبا تدريجيا فهناك الخبرة المستمرة التى تتكرر على مستوى اليوم وهى الصلاة • وهناك الخبرة المستمرة التى تتكرر على مستوى العام وهى الزكاة والصوم • وهناك الخبرة التى قد تحدث مرة واحدة فى العمر وهى الحج • وهى كلها خبرات متكاملة تتضافر فيما بينها من أجل تربية الانسان المسلم تربية سليمة وهى بهذا المعنى تحقق النمو والترقى فى الشخصية المسلمة •

والخبرة بهذا المعنى تربط بين الرمز والمعنى يقول الله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ويقول تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » • كما أنها تربط بين التفكير والعمل وتذكر كتب التاريخ أنه فى عهد الرسول الكريم كان الصحابة يقومون بحفظ عشر آيات من القرآن ولا ينتقلون الى غيرها الا بعد أن يطبقوها عمليا •

ومن هذا يتضح أن مفهوم الخبرة الذى تنادى به البرجمانية ليس جديدا على الفكر الاسلامى ، بل هو مبدأ من المبادىء التى تقوم عليها حياة المسلم ٠

واجب التربية ازاء هذا المفهوم الأصيل للخبرة أن تأخذ به فى الخطيط للعملية التربوية هدفا ومنهجا وطريقة ٠ وأن تجعل منه فلسفة لها ٠ فاذا كانت التربية تهدف للنمو والترقى فى جانب الفرد والمجتمع فيجب عليها أن تأخذ بالخبرة ٠ وأن تجعل منها اساسا فى بناء المنهج وموجها لطريقة التدريس ٠

ومحتوى الخبرة التربوية فى الاسلام غنى بالمعايير الكثيرة والمبادىء العديدة متنوع تنوع مجالات الحياة نفسها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ٠

وعلى هذا يمكن ان نتخذ من أسس الاسلام ومبادئه مواقف تربوية حية يتحقق فيها التفاعل بين داخل الانسان وخارجه ، وبشكل استمرارى ، يضمن بناء الفرد وبناء المجتمع ٠

(٣) التفـــكير :

والحديث عن الخبرة يفضى الى الحديث عن الركيزة الثالثة وهى التفكير٠ وتتضح صلة الخبرة بالتفكير : من حيث أن الاخير يمثل أداة الخبرة ، كمـا يمثل سبيل التخطيط لهـا ، والوصول بها الى الاهداف المرجوة منها ٠ ولا أن نتصور خبرة مربية بدون تفكير يحدد أهدافها وأساليبها ٠

وقـد سبق القول بأن الاسلام دين التفكير ، وأن الايمان الصادق يقوم أساسا على الاقتناع والتفكير ، لا التقليد والمحاكاه ٠ وقـد كان القرآن معجزة فكرية فى المقام الأول ٠ ولم يكن الاسلام الا تحريرا للعقل وتنقية للفكر ، وخلاصا لـه مما علق بـه من أدران وشوائب ٠ لقد كان ثورة على الجمود والتقليد ، ورفضا للباطل الموروث « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل اللـه قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ٠

والقرآن الكريم غاص بالآيات التى تدعو للتفكير ، وتدعو لاستخدامه ٠

ويحتل التفكير فى الاسلام منزلة عظيمة اذ يعد مصدرا من مصادر التشريع • وفى التفكير تكمن مرونة الاسلام ، وقدرته على احتواء كل الانجازات الحديثة والمستقبلة ، والاسلام يجعل من التفكير القيمة الحقيقية للانسان ، ويعده الميزة الأساسية التى تفصل بينه وبين الحيوان •

وقد جعل الاسلام التفكير مناط التكليف والمسئولية ، ولذا لم يكلف الصبى والمجنون ، والنائم كما يقول الرسول الكريم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبى حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يعقل ، وعن النائم حتى يستيقظ » • فالاسلام لا يؤاخذ الانسان الا بما يعيه ويعرفه ويصل اليه بالتفكير ولذا يقول تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » • فحين تتعطل وظيفة التفكير تسقط المؤاخذة والمساءلة ، وتسقط المسئولية والتكليف ولأهمية التفكير فى الاسلام فقد حرم الاسلام الخمر وسائر المسكرات التى تغطى العقل وتحجبه عن التفكير •

والاسلام حين يدعو للتفكير فانه يدعو للتفكير العلمى الذى يصل بالانسان الى الحقائق ويبلغ به حد اليقين • فالاسلام يرفض التفكير الخرافى القائم على الشعوذة والخرافة يقول الرسول الكريم : « لا طيرة ولا هامة ولا صفر » ويقول أيضا : « كذب المنجمون ولو صدقوا » • ولم تكن عبادة الاصنام الا مثلا للتفكير الخرافى ولم تكن الانصاب والأزلام الا مظهرا لهذا التفكير • والاسلام يرفض أيضا التفكير القائم على الترقيع ، فهو لا يقر الحلول الوسط، ولا يرتضى غير التفكير الاصيل القائم على الحقائق وحدها • وحقا يتصف الفكر الاسلامى بالمرونة والطواعية والانفتاح على فكر الآخرين ، ولكنه يتصف أيضا بالهضم والاستيعاب والاحتواء بهدف التأصيل والترسيخ • ولم يكن الفكر الاسلامى مجرد ناقل للفلسفات الأخرى بل كان هاضما لها وواعيا بها ومشكلاتها بما يتفق مع مبادئه وقيمه •

والاسلام يرفض أيضا التفكير بعقل السلطة فهو يرفض المصادرة الفكرية، ويسمح باستقلال الرأى وحرية التعبير ، والاختلاف فى الفكر دليل على النضج

والوعى ولقد قال الرسول الكريم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم بـــه لن تضلوا بعدى أبدا ، كتـــاب الله وسنة رسوله» ٠

فمن حق المفكرين أن يختلفوا مادام تفكرهم لايصطدم بالمبادىء الاساسية التى تضمنها القرآن والسنة ٠ ومن هنا اختلف الفقهاء ، وتعددت المذاهب ، ولقد اختلف الصحابة فيما بينهم كما اختلفوا من الرسول الكريم وهو على ذروة السلطة ٠ حدث هذا فى صلح الحديبيه عندما اختلف عمر بن الخطاب رضى اللـــه عنه مع الرسول ، واعترض على شروط هذا الصلح ٠ وحدث هذا عندما اختلف عمر بن الخطاب مع أبى بكر فى أمر خالد بن الوليد وتوليه لقيادة الجيش ٠

فالاسلام يرفض التفكير بعقل السلطة ، ولكنه يقـــر الرجوع الى ذوى العلم والمتخصصين هو يقر الاستشارة والمشورة ولـــكنه يرفض الخضـــوع والاذعان ، انه يؤكد الدعوة الى الخلق والابتكار ، ولكنه يرفض التقليـــد والمحاكاة ٠

كذلك أيضا لا يقر الاسلام التفكير الميتافيزيقى فى جملته ، ذلك التفكير الذى يضرب فى متاهات الغيبية ، حتى يصل بـــه الأمر أحيانا الى مناقضة الواقع ومخالفته وكم جر هذا التفكير الكثير من الشقاء والتعاسة للفكر الانسانى وللانسانية ، فعن طريقة توطد نفوذ الاقطاع ٠ كما توطد نفوذ الكنيسة ، ومعه أجهضت كل محاولة فكرية تستهدف تغيير الواقع واصلاحه ٠ ومن ثم صار الصراع عنيفا بين الدين من ناحية وبين العلم من ناحية أخرى ٠ وكتب التاريخ تعى نماذج عديدة وامثلة مختلفة للاضطهاد الذى لحق بالعلماء وقادة الفكر جراء آرائهم الجديدة وأفكارهم التى سبقوا بهـــا عصورهم ٠

أما العالم الاسلامى فقـــد شهد نهضة حضارية عظيمة قامت على أساس من حرية الفكر ومنهجية البحث ، حرية سمت فوق كل حسابات الجنس والملة ، واتسعت لتشمل كل الفرق والمذاهب المختلفة ، ومنهجية مكنت العرب من أن يجددوا ، ويطوروا ويقدموا رصيدا هائلا من العلم والمعرفة للفكر الانسانى٠

والاسلام لا يقر من أنواع التفكير الا التفكير العلمى • ومن أساليبه الاستنباط والاستقراء •

وقد استطاع الانسان حوالى القرن السابع عشر أن يبكر منهجا جديدا لتحصيل المعرفة وهو المنهج الذى أسفرت عنه الحركة العلمية الحديثة • ويطلق على هذا المنهج العلمى وخطواته تتمثل فى الآتى :

١ ـ الشعور بالمشكلة •

٢ ـ ثم حصر وتحديد المشكلة •

٣ ـ ثم اقتراح حلول للمشكلة أى وضع الفروض •

٤ ـ ثم استنباط نتائج الحلول المقترحة •

٥ ـ وأخيرا اختيار الفروض عمليا (٨) •

على أن الاسلام لا يجمد عند أسلوب واحد من التفكير العلمى ، ولكنه يعاضد كل أسلوب علمى يستهدف الكشف عن الحقيقة والوصول لليقين ، ويساهم فى حل مشكلات الحياة • واذا كان للتفكير هذه المنزلة الهامة فى الاسلام فان واجب الفكر التربوى الاسلامى أن يتخذ منه مبدأ يستند اليه ، ودعامة يقوم عليها ، فأهداف التربية يجب أن تصاغ بشكل علمى وأن تكون بعيدة عن العشوائية والارتجال والمناهج يجب أن تنمى التفكير فى التلميذ بحيث تجعله قادرا على مجابهة الواقع وحل مشكلاته ، وبحيث يكون قادرا على احداث التكيف مع البيئة التى يعيش فيها ، وطريقة التدريس نفسها يجب أن تقوم على التفكير فيراعى فيها ميول التلميذ واستعداداته حتى تكون مثمرة وخلاقة •

(٤) الحرية والنظام :

هذه الركيزة وثيقة الصلة بسابقتها فتحقيق التكامل بين جوانب الطبيعة الانسانية لا يتم الا فى ضوء الحرية المنظمة • والحرية لا تكون مربية الا اذا كانت قائمة

---

(٨) ديوبولد • ب • فان دالين (ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين) • مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩ م ، ص ٤٩ •

على الحرية الموجهة ، والتفكير لاينمو ويزدهر الا فى ظل الحرية ، كما انه أداة تحققها ، والسبيل الى بلوغها ٠

والاسلام يؤكد على الحرية ، لأنه دين الحرية ، والعقيدة الاسلامية تقوم أساسا على الحرية ، لأنها فى جوهرها تحرير للروح من عبادة غير الله ٠ وكما سبق القول فان الاسلام يقر الحرية فى شتى مظاهرها وصورها ٠ ويحارب الكبت والقمع والارهاب ٠ ولكن الاسلام حين ينادى بالحرية فهو لا ينادى بالحرية المطلقة التى لاتحدها الحدود ، ولا تنظمها ضوابط ، وانما ينادى بالحرية المنظمة ، الحرية الواعية القائمة على الضبط والنظام ٠

والقرآن الكريم حين يتجه لتناول الحريه فهو يذكر الضوابط والحدود التى تنظمها وتقيد بها من الفوضى ٠ اما الحرية ذاتها فلا يعرض لها القرآن لانها حق مقرر وثابت ليس بحاجة الى ذكر او تنبيه ٠ وقد تمثلت الضوابط التى وضعها الاسلام للحرية فى مجموعة الأوامر والنواهى ٠ فالاسلام يأمر بالصلاة مثلا وبالزكاة وبالصدق والامانة وغير ذلك من الأوامر ٠ كما ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وكل ما يقع داخل دائرة التحريم ٠

ومن هنا كان التعبير عن الحرية فى القرآن تعبيرا سلبيا أو ضمنيا يعنى فيه بالحدود والضوابط أما الحرية ذاتها فهى بدهية لا تحتاج لتذكرة ٠

وعندما يعنى الاسلام بالحرية المنظمة فانه يضع كل الضمانات الكفيلة بتوفرها ووجودها ، فالحرية لاتتحقق الا فى ظل ظروف مادية واجتماعية مناسبة تماما ٠ اذ لا يستطيع الانسان أن يكون حرا وهو يفتقد المصادر المادية الضرورية فالفقير ليس حرا كالغنى ٠ كذلك لا يستطيع الانسان أن يكون حرا مالم يسانده المجتمع ويدعم سلوكه فالزعماء المصلحون يكونون أكثر حرية حين يلتف حولهم الشعب ويساندهم المجتمع ، بخلاف ما لو وجدوا معارضة ومناهضة من السلطة الحاكمة فانهم يكونون أقل حرية ٠ وكذلك أيضا يكون الانسان أكثر حريه عندما تتوفر لديه الموارد الثقافية فتثرى من فكره وتوسع من أفقه ٠ فالانسان المثقف أكثر حرية من غيره وحرية الانسان تتوقف أيضا على مدى صحته البدنية ، فالمريض أقل حرية من الصحيح المعافى ٠ وحرية الانسان تتوقف أيضا على صحته النفسية ، فالانسان الانطوائى اقل حريـة

من غيره وحرية الانسان تتوقف أيضا على مدى تفاعل جوانب شخصيته العقلية والعاطفية والبدنية فقد تتعارض اهداف هذه الجوانب فيما بينها فيفتقد الانسان الحرية ويشعر بالقهر والغلبة (٩) ٠

والاسلام قد حرر الانسان ماديا واجتماعيا وثقافيا ، ودعا للاهتمام بالبدن والشعور والتكامل ، بما يكفل خلق الشخصية الذكية السليمة السوية القادرة على المشاركة الايجابية ٠ وكما أن الاسلام دين الحرية فهو دين النظام ، النظام فى الصلاة والنظام فى مواقيت العبادة النظام فى المعاملة ، النظام فى التفكير ، النظام فى كل جانب من جوانب الحياة التى عالجها الاسلام والذكر التربوى المنبثق من هذا الجانب للطبيعة الانسانية يرتسى هدفا فى التخطيط للهدف وفى بناء المنهج وفى طريقة التدريس ٠ فالتربية يجب ان تنمى فى التلميذ جانب الحرية ، الحرية فى اختيار هدفه ، واختيار المادة التى يدرسها والطريقة التى يميل اليها ٠ ويجب أن تسمح التربية له بتنمية طاقاته واستعداداته متحررها من كل قيود الكبت والقمع وتخلق فيه روح الابداع والابتكار ٠ كما يجب أن تسمح له بممارسة النشاط البدنى الحر وبممارسة هواياته بعيدا عن كل القيود الضاغطة ٠ وفى نفس الوقت يجب أن تعوده على النظام ٠ فينتظم فى مواعيد الدراسة ، ويحافظ على نظام المدرسة ، وعلى نظام الفصل ، وعلى زيه ، ويعتاد النظام فى اداء واجباته كما يعتاد النظام فى سلوكه الخارجى ، وفى تعامله مع المجتمع الذى يعيش فيه ٠

ويتصل بموضوع الحرية والنظام موضوع العقاب ، فهو سور الحماية وسياج الامن الى يحفظ الحرية والنظام من براثن الفوضى والاستهتار ٠

وهناك نظريات متعددة فى العقاب يمكن اجمالها فى الآتى : النظرية الوقائية التى تهدف الى حماية المجتمع من اجرام المجرم : وتقول ان السجون وجدت لحماية من فى الخارج لا لعقاب الذين هم فى الداخل ، وهذه النظرية مطبقة فى النظام الدستورى الذى لم يستعمل العقاب كوسيلة لحفظ النظام ، ولكن

---

(٩) فيليب ه ٠ فينكس ، فلسفة التربية (مرجع سابق) ، ص ص ٤٢٨ - ٤٣٤ ٠

كخطة يقصد منها الحماية ، فالعقاب هنا وسيلة لهدف أسمى منه • وهناك النظرية الوازعة وهي تهدف الى ردع الآخرين من ارتكاب الجريمة لا معاقبة المجرم نفسه • وهناك النظرية الجزائية التي تقرر أن كل مجرم يجب أن يلقى جزاءه فيكفر عن خطيئته بالتعذيب • وأخيرا هناك نظرية الجزاء الطبيعي التي نادى بها « سبنسر » وهي تقرر أن خير وسيلة لبلوغ الانسان غرضه هي أن يجني ثمرة عمله . فلو سقط الطفل مثلا على الارض وجرحت ساقه ، وتألم الألم فان هذا يكون نتيجة طبيعية لفعله ومن ثم فهو يفيد من هذا الفعل في سلوكه المقبل فيتجنب السقوط على الأرض • وهذه النظرية هي امتداد لما نادى بـه « روسو » من قبل حين قال بالجزاء الطبيعي (١٠) •

والاسلام قد أقر العقاب ، وشرع الحدود حماية للحرية من الفوضى ، وحفاظا على النظام من الاهمال فحافظ على حرية الروح بالقصاص « ولكم في القصاص حياة » • وحافظ على حرية المال بقطع اليد وحرية العرض بالجلد والنفي ، ونظام الدولة بالقتل والصلب والنفي : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » • (المائدة : ٣٣) • وجعل من مات دون ما له أو عرضه شهيدا ، يقول الرسول الكريم « من قتل دون ما له فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد » •

وبالاضافة الى العقوبة البدنية شرع الاسلام العقوبة المعنوية وهي ماتسمى بالتعزير أو التأديب ووكل أمرها للحاكم يقدرها حسب طبيعة الجاني ، وحسب جرمه الذي ارتكبه •

ومع أن الاسلام قرر العقوبة الا أنه قرر أيضا العفو ، قال تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ، وقال تعالى : « وأن تعفو هو أقرب للتقوى، ولا تنسوا الفضل بينكم » وقال : « فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » •

فالاسلام يجمع بين العقوبة وبين العفو • وهو يبغي من كل هذا حماية

---

(١٠) صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس ، الجزء الثاني (ط ٤) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م ، ص ص ٣٠٨ - ٣١٢ •

الفرد وحماية المجتمع • وهو يحتم العقوبة حين يكون الحق حقا للـه ، ويحبذ العفو والصفح حين يكون الحق حقا للناس • معنى هذا أن العقوبة أمر مقرر وضرورى فى التربية الاسلامية ، وتربية الطبيعة الانسانية فى جوانبها المختلفة تحتاج للعقوبة وقـد يطغى جانب منها على غيره فيختل التوازن ويضطرب التكامل ، فمثلا يطغى جانب الذاتية على الجانب الاجتماعى فيسلك الشخص سلوك الأنانية والجشع والجور على حقوق المجتمع • وقـد يطغى الجانب الجسمى على الجانب الروحى فيندفع الانسان سعيا وراء رغباته الجسـدية وشهواته فيشرب الخمر ويهتك العرض ويسرق المال ويسعى فى الأرض فسادا• هنا لابد أن تكون العقوبة حيث تحمى النفس من شرورها وتحمى الروح من التردى فى مهاوى الرذيلة • والعقوبة فى الاسلام لاتعنى العنف لذاته كما يتخوف البعض اليوم من تطبيق الحدود ، ويرى أنها عودة بالانسان الى عصور البدائية، العقوبة فى الاسلام تهذيب للطبيعة الانسانية أولا وقبل كل شىء ، وحمايـة للصالح العام • ولا بأس من تطبيق العقوبة فى مجال التربية ولكن ليس بالشكل الذى يصلح للمجتمع العام فقد تكون العقوبة فى شكل لوم أو تعزير • وقـد تكون فى شكل حرمان من مكافأة الى غير ذلك من الأساليب التى تصلح لمعالجة التلميذ • وينبغى أن يتجنب المدرس قـدر الجهد الضرب البدنى ففيه اذلال للتلميذ وقمع لـه • ولقد أوصى عمر رضى اللـه عنه ولاتـه فى الأقاليم بألا يضربوا أبشار المسلمين ، بل عليهم ان يفقهوهم فى الحقاب • مستمدة من مبادىء الاسلام ذاته ، وهى على التوالى : النصح والارشاد ، ثم التأديب على انفراد ، ثم التقريع على رؤس الاشهاد ، وأخيرا الضرب اذا لـم تصـلح الاجراءات السابقة • وقـد جعلوا للضرب شروطا معينة ، منها أخذ الأذن من ولى الأمر ، ومنها أن يكون فى مكان مأمون ، ومنها أن يكون عدد الضربات من ثلاث الى عشر (١١) • ولعل مما يدعم هذه المبادىء قول الرسول الكريم فى تعليم الصلاة للابناء « علموهم على سبع واضربوهم على عشر » •

(٥) تكافـؤ الفـرص :

ومن الركائز الأساسية التى يؤكدها الفكر التربوى مبدأ تكافؤ الفرص ،

---

(١١) أحمـد فؤاد الاهوانى ، التربية فى الاسلام (طبعة ثانية) دار المعـارف بمصر ، ١٩٧٥ م ، ص ١٤ •

وهو نتيجة حتمية لمبدأ الحرية ، ومع أنه نادى بـه المربون حديثا الا أنـه قديم قدم الاسلام نفسه ، فالاسلام دين ديمقراطي لا يعرف النظام الطبقي بل يقرر تساوى الناس فهم سواسية كأسنان المشط • ولقد كانت فرص التعليم الاسلامي مكفولة للناس على حد سواء ، لا فرق بين الغنى والفقير ، ولم يكن الفقر ليحول دون طلب العلم ، ولقد بدأ التعليم فى المسجد ، وكان المسجد مفتوحا للناس جميعا ، وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم بالمجان• وكان من نظام الحلقة أن يترك لها مكان يجلس فيه من ينضم للحلقة حديثا ، ولم يكن هناك مكان معين لأحد فى المجلس ، ويروى أن محمد بن أحمد بن كيسان (٢٩٩ هـ) كانت له حلقة كبيرة بالمسجد وكان يجتمع على باب المسجد نحو مائة وخمس من الدواب للوزراء والاعيان والاشراف ، وكان اقبالـه على صاحب الرتبة العالية والعبادة الفائق ، والطير الجالى ، كاقبالـه على صاحب القصب ، والعيش والفيالج ، والركاب ، والحلقة الثانية ، (١٢) •

ولما كانت الدراسة فى العالم الاسلامى كانت فرصة الفقير لتلقى العلم كبيرة • فقد أتيح للمسجد للدارس ان غالبية الطلبة الدارسين من الفقراء • ولقد أعلن « نظام الملك » أن التعليم بمدارسه حق للجميع ، وأنه يعطى للناس جميعا دون مقابل ، ثم زاد على المجانية الشاملة أن عين مرتبا منتظما للطلاب المعوزين ففى نظامية بغداد كان الذين يتلقون العلم ٦٠٠٠ تلميذ يجمعون بين ابن أعظم العظماء فى المملكة ، وابن أفقر الصناع ، وكلهم يتعلمون بالمجان ، وللطـالب الفقير فوق ذلك مطعوم يتقاضاه من الريع المخصص لذلك (١٣) •

ولعـل أبرز دليل يؤكد تكافؤ الفرص فى التربية الاسلامية ما ذكره القرآن الكريم من قصة الأعمى الذى قصد الرسول ليتفقه فى الدين ، ثم شغل عنـه الرسول بعظماء القوم • وقـال تعالى : « عبس وتولى ، ان جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى ، فأنت لـه تصدى ، وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى ، كلا انها تذكرة » (عبس ١ — ١١) ففى هذه السورة يعاتب الله

---

(١٢) أحمد شلبى . تاريخ التربية الاسلامية (طبعة ثالثة) . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٦٦ م ، ص ٢٩٢ •

(١٣) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ •

تعالى نبيه على انصرافه عن هذا الأعمى (عبد الله بن أم مكتوم) الذى جاء يستزيد من المعرفة والفهم لدينه • ويردع الرسول بـ « كلا » حتى لا يعود لمثل هذا التصنيع ثانية ، وكان الرسول الكريم حين يقابل ابن أم مكتوم يقول له « أهلا بمن عاتبنى فيه ربى » •

وتكافؤ الفرص لا يعنى التساوى فيها • فالاسلام يقرر التفاوت والاختلاف فى المواهب والاستعدادات يقول الرسول الكريم : « انما انا قاسم والله معطى » • والله تعالى يقول : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » • كما يقول تعالى : « ورفعنا بعضكم على بعض درجات ، ليتخذ بعضكم بعضا سخريا » •

والله تعالى حين خلق الناس لم يخلقهم بطبائع انسانية واحدة ، فلكل طبيعة قدراتها واستعداداتها • وقد يغلب جانب منها على غيره ، فهناك انسان قوى البنية لكنه ضعيف العقل ، وهناك انسان يغلب عليه طابع الأثرة والأنانية ، وآخر يغلب عليه طابع الايثار ومصلحة الجماعة وقد يصلح الذكر لما لا تصلح له الانثى والعكس أيضا صحيح •

وتكافؤ الفرص مبدأ ينبثق من كون الاسلام دين الحياة والتطور • فالحياة لكى تسير وتستمر لابد فيها من التنوع والاختلاف الذى يسمح بالتكامل والتعاون ولا يعقل أن يكون المجتمع فئة واحدة تمارس عملا واحدا • بل لابد من التنوع فى العمل والتعدد فيه باعتباره روح الجماعة وجوهر تماسكها • وما نشأت المجتمعات الا لتداخل مصالحها وترابط أعضائها فيما بينهم • وهذا التنوع فى العمل انما يقوم أساسا على التنوع فى الطبيعة الانسانية •

ولقد حاول بعض الفلاسفة أن يقسم المجتمع الى طبقات على أساس نوعية العمل الذى تقوم به كل طبقة ، فأفلاطون قال بالتقسيم الثلاثى المعروف فى جمهوريته ومثله فعل الفارابى فى كتابه « المدينة الفاضلة » والماركسية تقول بمادية الطبيعة الانسانية ، ومن ثم فليس هناك ما يسمى بالاستعدادات والمواهب ، وانما عن طريق المران والتدريب يمكن تشكيل الطبيعة الانسانية بالشكل الذى تريده الدولة لا بالشكل الذى يريده هو ،

والاسلام حين يؤكد هذا التنوع فى الميول والاستعدادات فهو لا يتخذ منه اساسا لقيام التواصل الطبقية التى تسمح بالحراك الاجتماعى • والتى تبقى على الاوضاع الطبقية كما هى فلا تسمح بالتغير أو التطور • ولكن الاسلام حين يؤكد هذا التنوع فانما يؤكد مبدأ الحرية الذى يسمح بالمرونة والحيوية داخل المجتمع • كما ان الاسلام حين يؤكـــد ذلك فانما يؤكد روح التنافس التى تحفز الهمم وتثير العزائم بما يضمن للمجتمع الرقى وما يضمن للفرد النمـــو والتطور •

ولأن الاسلام دين التطور فهو يؤكد على تحرير الطاقات الانسانيـــة من عقالها وتفجير القدرات وخلق روح البحث والابتكار •

فمبدأ تكافؤ الفرص وثيق الصلة بجوهر الطبيعة الانسانية فى جوانبها المختلفة فهو الذى يسمح بتعدد الذوات والشخصيات • وهو الذى يسمح بتطوير هذه الطبيعة والتسامى بها مما يترتب عليه تطور المجتمع نفسه والحياة نفسها•

والفكر التربوى الاسلامى حين يستند الى هذا المبدأ فانه يقرر ضرورة العناية بالنابهين من التلاميذ وأصحاب المواهب منهم اقتصاديا واجتماعيا • كما يقرر ضرورة النهوض بمستوى المتخلفين عقليا حتى يمكن الافادة منهم فى بناء مجتمعهم وبناء انفسهم • كما يقرر ضرورة تشجيع من يحرز تقدما ، او يحقق نجاحا مرموقا بالمكافآت المادية وغير المادية ، ففى هذا اثارة لروح التنافس ، ودفـــع لعجلة التطور الى الامـــام •

(٦) المســـــئولية ::

من الركائز الأساسية التى يقوم عليها الفكر التربوى الاسلامى فى ضوء النظرة للطبيعة الانسانية ركيزة المسئولية • وتربية الطبيعة الانسانية مسئولية يضطلع بها كل من الفرد والمجتمع •

ولقد قرر الاسلام المسئولية الفردية حين قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر اخرى » • كما قرر الاسلام المسئولية الاجتماعية فى قوله تعالى : « ولتكن منكم امـة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » • وحين قال تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

وتؤمنون باللـــه » • ولقد جمع الرسول الكريم بينهما معا فى قوله « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته ، والزوجة راعية فى مـال زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » •

وتربية الانسان لنفسه هى المحتوى الحقيقى لمفهوم المسئولية كما يقره الاسلام وهى التعبير الحى عن الممارسة الواعية للحرية ، والتقصير فيها ظلم للنفس وجور عليها يقول تعالى : « وما ظلمهم اللـــه ولـكن كانوا أنفسهم يظـــلمون » •

ويمكن القول بأن الاسلام يلزم الانسان بتربيته لنفسه ، ويفرض عليه هذا ، فالتربية الفردية انما تتم من خلال الأوامر والنواهى التى شرعها الاسلام ومن خلال القواعد التى أقرها ومعنى هذا أن عملية التربية تمثل الجـــانب التطبيقى للفكر الاسلامى ، وتمثل الاحتواء العملى الكامل لمبادىء الاسلام وأسسه • وبقدر نجاح الفرد فى تربيته لنفسه بقدر ما يكون ايمانه واسلامه ، وتربية الانسان لنفسه هى ما يطلق عليها اليوم اسم « التربية الاستقلالية » ولقد عاشها المسلمون الأوائل وزاولوها علميا قبل أن تظهر هذه المسميات أو تعرف هذه المفاهيم حديثا • وتذكر كتب السيرة والتاريخ كيف أن المسلم الأول كان حريصا على تربية نفسه وتعليمها ، حتى أن بعض الصحابة قـد انقطعوا لهذه التربية وصاحبوا الرسول فى حله وترحاله يقتدون بـه • ويحفظون عنه الاحاديث • وهذا البعض هو ما اطلق عليه « أهل الصفة » من أمثال أبى هريرة وعبد اللـه بن مسعود وبين أن المسلم الأول كان يقوم على هـذا النوع من التربية عن رغبة واختيار وحب لهـا ، لا عن ضيق ودفع اليها دفعا• ومع أنها الزامية الا أن المسلم الأول أحبها ، ومع أنها اجبارية الا ان المسلم الأول لم يشعر بنفور نحوهـــا •

والنهضة العلمية العظيمة التى بدأت مع ظهور الاسلام مدينة فى جانب كبير منها لهذه التربية الفردية أو « التربية الاستقلالية » فالمسجد والكتاب والمدرسة هذه الأماكن لم تكن لها ادارة ولم تكن تخضع لسلطة الدولة ، وانما كانت تقوم على الجهود الذاتية وبدافع الرغبة فى التربية والتعليم •

واذا كان لهذا النوع من التربية من فضل فذاك أنها قدمت للفكر الانسانى أعلاما أفذاذا وعلماء موسوعيين مثل : ابن سينا ، وابن رشد ، وجابر بن حيان، والحسن بن الهيثم ، وابن عبد ربه ، والامام البخارى ، وابن منظور، والسيوطى، والمسعودى ، وابن بطوطه ، وغيرهم كثير ٠

ولقد كان حرص المسلم على تربيته لنفسه يدفعه - ان اقتضى الامر - الى قطع الفيافى والقفار والى تحمل مشاق السفر ووعثاء الترحال ٠ يقول أبو الدرداء « لو اعيتنى آيـة من كتاب اللـه فلم أجد احدا يفتحها على الا رجلا ببـرك الغماد لرحلت اليه » ٠ وقال الشعبى : « لو ان رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رايت أن سفره ضاع»(١٤)٠

ويتضح حرص المسلم على تربيته لنفسه من خلال ما روى أن ابا يوسف قاضى القضاة قال « مات لى ولد فأمرت من يتولى دفنه ، ولم أدع مجلس حنيفه خوفا أن يفوتنى منه يوم » (١٥) ٠

واذا كان الفرد مسئولا عن تربيته لنفسه ، فان المجتمع أيضا مسئول عن تربية افراده والمجتمع حين يربى افراده يضع فى الاعتبار تلك العلائق القوية والوشائج الوطيدة التى تربط ما بين أفراده ، كما يضع فى الاعتبار أيضا القيم والمبادىء الكلية بخلق الذات الفردية ، وبنـاء الشخصيـة المتكاملة ٠

فتربية الطبيعة الانسانية هى مسئولية المجتمع أيضا ، والمجتمع مسئول عن خلق التجانس والانسجام بين الطبيعة الانسانية الفردية وبين غيرها من الطبائع فى ظل القيم التى يدين بها ، والمثل التى يسعى لتحقيقها ٠ والقيام بأعباء هذه المسئولية يمثل الركيزة الأولى لبناء المجتمع فى جوانبه المتكاملة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ٠

ومسئولية المجتمع عن تربية الطبيعة الانسانية تشمل الاخرة القائمـة

---

(١٤) أحمـد شلبى ، تاريخ التربية الاسلامية (مرجع سـابق) ، ص ٣١٧ ٠

(١٥) المرجع السابق ، ص ٣١٤ ٠

على التضامن والوحدة والايثار يقول تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ويقول تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ويقول تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . كما تشتمل التربية على الحرية والعزة ورفض الذل والعبودية يقول تعالى: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» . كما تشمل التربية على القوة والاستعداد فيقول تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . كما تشمل التربية على الرحمة والشجاعة . وعدم النفاق مع الاعداء ، يقول تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » كما تشمل التربية على الصبر والمصابرة ، لان قيام الدولة وتكوينها لوجودها ، يقول تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين » وتشمل التربية على العمل ، حتى لا يسود النظام والفوضى يقول تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » وتشمل التربية على الوفاء بالعهود يقول تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها » وتشمل العمل على دفع الظلم وعدم السكوت عليه ، يقول تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ويقول تعالى : ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » (١٦) .

ومن منطلق قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » ، قام المجتمع الاسلامى الأول بتربية افراده. وقد كان الرسول عليه السلام نموذجا حيا لهذه التربية فكان يقتدى به اصحابه قولا وعملا ، ويجعل من سلوكه نموذجا ليتم يقتدون به .

وقام سائر الخلفاء الراشدون سيرة النبى الاول فعنوا بتربية الافراد وتأديبهم فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجلس الى المسلمين يفقههم فى امور دينهم كما كان يضرب بدرته كل من خالف أمرا من أمور الدين .

---

(١٦) محمد عبد الله السمان ، التربية فى القرآن (طبعة خامسة) ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ص ص ١٩ - ٢٤ .

من كل هذا يتأكد أن الاسلام قرر المسئولية فى التربية سواء أكانت على مستوى الفرد أم على مستوى الجماعة ٠

٦ ـ الانســـانية :

والانسانية ركيزة أساسية من الركائز التى تقوم عليها تربية الطبيعة الانسانية والمعروف أن الاسلام قرر المساواة بين الناس ، وقرر نبذ كل الفروق التى تفصل بين الشعوب قال تعالى : « ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ويقول الرسول الكريم « كلكم لآدم وآدم من تراب » ٠

وتقرير الاسلام لمبدأ المساواة يتضمن بالضرورة الدعوة الى حياة التآخى مع الشعوب الأخرى والانفتاح على المجتمعات الأخرى ، والافادة من تجاربها وأساليب حياتها ، وعدم الانغلاق داخل حدود الوطن ٠ ويتضح هذا من قـول الرسول الكريم « من تعلم لغة قوم أمن مكرهم » ٠

والانسانية تعنى رفض سياسة القوة ونبذ الحروب والدعوة الى حياة السلام والامن ، كما تعنى الانسانية رفض الفروق العنصرية ، والعصبيات القومية ٠

على أن الانسانية فى الاسلام لاتقف عند حد الانسان ، بل تمتد لتشمل الحيوان أيضا ، فقد قرر الاسلام الرفق بالحيوان ، وعدم ايقاع الأذى به ، يقول الرسول الكريم : « دخلت امرأة النار فى هرة » ٠

وتربية الطبيعة الانسانية فى ضوء هذه الركيزة ، تعنى خلق روح الانسانية فيها ، والتسامى بالجانب الروحى منها ، والتأكيد على الجانب الاجتماعى فى صورته العامة وتوسيع دائرة الأفق الفكرى بما يسمح بالتجارب مع الآخرين والافادة من ثقافات الشعوب الأخرى ٠

وينبغى أن تضع التربية الاسلامية هذه الركيزة فى الاعتبار ، عندما ، ومنهجا وطريقة . وتكون الانسانية والعالمية هدفا من أهداف تربية هـــذه الطبيعة الانسانية كما ينبغى أن يصمم المنهج المدرسى بحيث يغرس فى

التلميذ الروح الانسانية فى مظاهرها المختلفة • وتكون طريقة التدريس نفسها قائمة على مبدأ الانسانية من احترام للانسان ورفق بالحيوان وتسامح ازاء الآخرين ، وتعريف بأساليب الحياة فى المجتمعات الأخرى •

٧ - الذوق الجمالى :

من الركائز الأساسية أيضا فى تربية الطبيعة الانسانية الذوق الجمالى • وهذا ضرورى اذا ماأخذ فى الاعتبار التكامل بين أجزاء هذه الطبيعة ، والانسجام بين عناصرها • فالطبيعة الانسانية نفسها جميلة ، اذ هى تقوم على التوازن والاعتدال • يقول تعالى : « هو الذى صوركم فأحسن صوركم » ويقول تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » • ويقول تعالى : « الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ربك » • ويقول تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » • والاحساس بالجمال شىء فطرى فى الطبيعة الانسانية ، فمن منا من لم يبهره المنظر الرائع أو اللوحة البدعية ؟•

واذا كان الله تعالى قد خلق الانسان وصوره ، فانه أيضا قد خلق الطبيعة وأبدع فيها أيما ابداع • والانسان ان هو الا صورة مصغرة لهذه الطبيعة • وليس صحيحا مايذهب اليه أصحاب نظرية النشوء والارتقاء من أن الحاجة هى التى قد أدت الى نشأة الكائنات الحية ، وتطورها . فلو أن الأمر كذلك لما كان ثمة داع لتلك الزخرفة التى نلحظها فى جناح الفراشة ، طالما أن الجناح كفيل بأن يؤدى وظيفته بغير هذه الزخرفة •

وقد أكد الله تعالى هذا فى قوله « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » فلم تخلق هذه الدواب لمجرد الركوب ، وانما خلقت للزينة أيضا •

والطبيعة الانسانية جميلة بما فيها من قوانين تحكمها ، وعلل توجهها « سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا » • ومهما اختلف المفكرون فى تحديد مصدر هذا الجمال ، وهل يرجع الى الاحساس الذاتى ، أو يرجع الى اسباب موضوعية تكمن فى الشىء الجميل نفسه (١٧) • فانه يمكن القول بأن

---

(١٧) اميرة حلمى مطر ، فلسفة الجمال ، المكتبة الثقافية (٧٤) ، القاهرة ، دار القلم ص ٢٧ ومابعدها •

الله تعالى قد خلق فى الطبيعة الانسانية الاحساس بالجمال ، وجعلها قادرة على ادراك أسبابه الموضوعية ، التى تتمثل فى الانسان والانسجام والنظام والاستمرار ٠

والجمال هو الوجه الآخر لكل من الحق والخير ، فكل حق جمال ، وكل خير جمال أيضا ٠

ومن مظاهر الاعجاز فى القرآن الكريم ذلك الطابع الجمالى الذى ندركه فى موسيقى ألفاظه وعباراته ، وخاصة فى السور القصار منه ، والذى ندركه أيضا فى جمال صوره البيانية ، وجمال التركيب فى أسلوبه ، وحسن الانسجام بين ألفاظه ومراعاة الترتيب بين سوره وآياته ، وبحيث نسلم كل آية الى التى تليها ، وكل سورة الى التى تليها ٠

وقد كان طبيعيا ان تكون الصلاة - وهى العبادة اليومية - ذات طابع جمالى سواء فى حركاتها وسكناتها أم فى الاستعداد لها ، يقول تعالى : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » بمعنى أن المسلم يجب أن يتهيأ لأداء هذه العبادة ، وأن يتزين عند كل صلاة ٠

ولقد أنكر الله تعالى على هؤلاء الذين يحرمون الزينة قولهم ، يقول تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده » ٠

ولأن الحق جمال فقد اتخذ الجمال مصدرا للمعرفة أحيانا ، نجد هذا لدى بعض الفلاسفة كأفلاطون كما نجده بصفة خاصة لدى المتصوفة من أمثال ابن الفارض الذى يقول :

وصرح بإطلاق الجمال ولاتقل ... بتقييده ميلا لزينة زخرف

فكل مليح حسنه من جمالها ... معار لـه بل حسن كل مليحة

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق ... كمجنون ليلى أو كثير عزة

واذا كان الاسلام قد حرم النحت والتصوير فقد كان ذلك فى فترة كان المسلمون فيها حديثى عهد بالاسلام تخشى عليهم العودة لعبادة الأصنام والأوثان ٠

ولقد كان الرسول عليه السلام يسمح للشعر ويعجب به ، ويقول فيه :

« ان من الشعر لحكمة » . كما اتخذ الرسول منه سلاحا فى محاربة المشركين ، فكان حسان بن ثابت لسانا شعريا ينطق باسم الدعوة ، ويرد على المشركين كيدهم وزيفهم .

الاسلام - اذا - يقر الجمال ويدعو لتذوقه ، ففى ادراكه والاحساس به مايهذب الطبع ويرهف الشعور ، وينقى الروح .

واذا كان الجمال أمرا فطريا فى الطبيعة الانسانية فان التربية الاسلامية تتخذ منه ركيزة تستند اليها سواء فى صياغة الأهداف ، أو فى تصميم المنهج ، أو فى طريقة التدريس نفسها .

ولقد مارس المسلمون الأوائل التربية الجمالية ممارسة عملية ، حتى فى داخل المسجد نفسه ، فزينوا جدرانه ، وبصموها بآيات الله تعالى ، كما تفننوا فى كتابة الخط العربى نفسه ، وخلعوا عليه الكثير من احساسهم بالجمال والتذوق له .

من هنا فان مراعاة الجمال فى تربية الطبيعة الانسانية ليس شيئا خارجا عن هذه الطبيعة ، بل هو امر جوهرى فيها ، وضرورى لتهذيبها وتطويرها .

هذه هى أهم الركائز التى تقوم عليها تربية الطبيعة الانسانية فى ضوء الفكر الاسلامى .

الأهـــداف التربويـــة :

بعد أن عرضنا للركائز التى يقوم عليها الفكر التربوى الاسلامى فى ضوء الرؤية للطبيعة الانسانية - يهمنا أن نتناول الأهداف التربوية التى يستهدفها هذا الفكر ويعمل على تحقيقها .

وتحديد الأهداف والوقوف على خصائصها وبيان طبيعتها أمر ضرورى فى ممارسة العمل التربوى . فالأهداف هى التى توجه هذا العمل . وتضمن له الاستمرار والفعالية فى حياة الناشئين أو حياة الشباب والمجتمع بصفة عامة « ذلك أن تحديد محتوى التعليم واختيار وسائله والتعرف على مشكلاته ،

وتقويم نتائجه كل هذا لابد أن يكون فى ضوء أهداف واضحة مشتقة من المطالب الملقاة عليه من حركة المجتمع وطبيعة المادة التى يسعى الى تحقيقها فى كل مرحلة من مراحل تطوره » (١٨) ٠

ويقدر مايكون الفكر التربوى صادقا فى التعبير عن مطالب الفرد والمجتمع ، ويقدر مايكون ملائما لروح العصر ، ويقدر مايكون اصيلا - يقدر مايكون الاهداف التربوية المشتقة عنه قادرة على التوجيه والارشاد بحيث يمكنها أن تلم بكل أطراف العملية التربوية وأن تدفع بها فى طريق واضح محدد ٠ ويقدر مايخفق الفكر التربوى فى التعبير عن حاجة الفرد ومطالب المجتمع ، ويقدر مايغفل روح العصر ، يقدر مانفقد الاهداف قوتها وقدرتها على الارشاد والتوجيه « وقد سبق القول بأن الاسلام وهو مصدر التنظير التربوى ٠ كان الدين الحى والتشريع الخالد الذى استقطب كل ابعاد الطبيعة الانسانية وعالجها معالجة حكيمة واعية ، فقدر فيها امكاناتها وراعى طاقاتها ، وتناولها بالتنمية والتطوير والتهذيب ، فى ظل اطـار اجتماعى انسانى عام تتحقق من داخله ذاتية الفرد وشخصيته المجتمع ، المجتمع القدوة والمثل ٠ « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ٠

ولم يكن الاسلام ليطلق عن شعارات جوفاء أو ليردد أهدافا غامضة غير قابلة للتطبيق ٠ ولم يكن ليقر بأهداف بعيدة عن امتمامات الفرد ، وعاجزة عن تحقيقها قدراته ٠ ولم يكن الاسلام ليفصل بين الأهداف والوسائل ٠ ولم يكن ليجمد الأهداف وينتزع منها خاصة المرونة والطواعية ٠ وانما قال الاسلام بأهداف واضحة ، مرنة ، قابلة للتحقيق ، تقوم على الايمان بها والتحمس لها ، مع شرعية وسائلها واسسها ٠ وطرق تحقيقها ، أهداف نابعة من طبيعة الانسان نفسه ، وهو اساس الحياة فى حركتها وتطورها ، اهداف وضعها رب الاسلام لخليقته الانسان « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ٠

خصائص الأهـــداف :

من واقع الفكر الاسلامى ومن خلال منظوره يمكن القول بأن الأهـداف التربوية قد اتسمت بخصائص لم تتوفر لأية أهداف تربوية على مستوى تاريخ

---

(١٨) محمد الهادى عفيفى ، فى أصول التربية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ ٠

الفكر التربوى كله • فقد كانت النظريات التربوية معبرة عن عصورها المختلفة • ولم تكن أى منها قادرة على الاستيعاب او احتواء الحياة فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها • ومن ثم كانت الأهداف التى نادت بها أهدافا خاصة ، محكومة باطار زمنى معين ، ولذا سرعان ماكانت تزول مع زوال عصرها ، كما كانت أهدافا غامضة تفسح المجال للتأول والاختلاف وأحيانا كانت أهدافا خيالية غير قابلة للتحقيق والامكان ، وأحيانا أخرى كانت أهدافا نفعية معيار الصدق فيها هو المنفعة الخاصة والمصلحة الذاتية دونما اهتمام كبير بالقيم الاجتماعية او المثل العليا العامة حتى ماكان منها دينيا كان نابعا عن نظرة خاطئة للطبيعة الانسانية وهى انها شر تجب مقاومته وهذا مايكمن ملاحظته فى الفلسفات التى عرضنا لها فى فصل سابق فالمثالية قالت بأهداف ثابتة جامدة خيالية وهذا ناجم عن نظرة خاطئة للطبيعة الانسانية تغفل التكامل والترابط بين عنصريها الروح والجسم • والطبيعية قالت باهداف فردية ذاتية تهمل نظم المجتمع وضوابطه وتغفل اثره فى بناء الطبيعة الانسانية • والماركسية نادت بأهداف مادية بحته لامجال فيها للقيم الروحية والمثل الدينية ، وهذا ناجم من نظرة مادية صرفه للطبيعة الانسانية •

والوجودية أعلنت عن أهداف مغرقة فى الذاتية ومغالية فى النظرة التشاؤمية للحياة فالأهداف فى التربية الوجودية لاتعنى بالأمل بقدر ماتعنى باليأس ، ولاتعنى بالمشاركة بقدر ماتعنى بالعزلة ، ولاتعنى بتحقيق الذات بقدر ماتعنى بضياع الذات ، ولاتعنى بالأمن بقدر ماتعنى بالقلق •

والبرجماتية نادت بأهداف معيار الصدق فيها المنفعة التجريبية والمصلحة الواقعية ، حتى القيم الروحية فيها تخضع للنظرة التجريبية الواقعية والمنفعية أما الاهداف التربوية فى ضوء الفكر الاسلامى فقد اتسمت بالخصائص التالية

١ ـ الوضـــــوح :

والوضوح فى أهداف التربية نابع من الوضوح فى الفكر الاسلامى ، بسبب ما يتسم به هذا الفكر من بساطة فى المبادىء ، وتحديد فى الأسس ، وعقلانية

فى التنفيذ • فالاسلام ليس دين الغاز وأحجية ، وليس فلسفة غامضة مغرية وانما هو بسيط لا يوجه للصفوة الذكية من البشر فقط ، بل يخاطب أدنى العقول فهما ، كما يخاطب أرقاها عقلا وفكرا ، وهو بسيط فى الجانب العقيدى كما هو بسيط فى الجانب التشريعى • والاسلام حين يتسم بالبساطة فذلك كى يلائم الطبيعة الانسانية فى امكاناتها وقدراتها فكرا وسلوكا •

والبساطة هنا لاتعنى السذاجة والسطحية ، ولكنها البساطة العميقة القائمة على العقل والفهم فحين يدعو الاسلام لعبادة الله فهذا لان العقل يأبى أن يسجد الانسان لغير الله ، وحين يقول الاسلام بالوحدانية فذلك لأن الفهم السليم يرفض التعدد والشاركة • وحين يؤمن الانسان بالله عن اقتناع وتفكير لا عن تقليد موروث فلابد أن ينسحب هذا الايمان على التشريع الذى سنه الله لعباده ، ولابد أن ينسحب معه الاقتناع بهذا التشريع والوعى به •

والاجتهاد فى التشريع الاسلامى بما فيه من اعمال وفكر خير دليل على بساطة هذا الدين ، وعقلانية مبادئه ، والعلم بما له من مكانة رفيعة فى الفكر الاسلامى كفيل بأن يضمن الوضوح والبساطة فى الفكر الاسلامى وبالتالى الوضوح فى الأهداف التربوية المنبثقة عنه •

٢ - التكامـــل :

ومن الوضوح فى الأهداف يكون التكامل • فعندما تكون الأهداف غامضة فلابد أن تكون متناقضة ومضطربة والوضوح لايختص بهدف معين بل يشمل كل الأهداف كما يعنى تحقيق الانسجام فيما بينها • فالأهداف الجسمية لايمكن أن تنفصل عن الأهداف الفكرية ، وهما معا لايمكن لهما الانفصال عن الأهداف الخلقية ، والجميع لايمكن أن يعزل عن الأهداف الفردية الاجتماعية ، أو الأهداف الروحية • فالأهداف مهما اختلفت أشكالها وأنواعها متكاملة ، كل نوع فيها يخاطب جانبا معينا من جوانب الطبيعة الانسانية ، تتصل بالانسان فى النهاية الى مرحلة الأمن والاستقرار مع نفسه ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، فى ظل الاستقرار الغائى الذى يتحقق بعبادة الخالق •

والتكامل احدى السمات الأساسية فى الفكر الاسلامى كله ، فالاسلام حين يعالج جانبا فهو لايغفل النظر الى مايتصل به من جوانب ، فحين يعالج الجانب الروحى فى الانسان فهو لايغفل مطالبة الجسدية ، وحين يربى فيه عزة النفس وتحقيق الذات فلا يغفل صلته بالآخرين من حوله ·وحين يحارب فيه نوازع الشر فلا ينسى بواعث الخير فيعمل على اثارتها وتشجيعها ، وحين يقول بالأثر الوراثى فلا ينسى أثر البيئة الصالحة فى بناء الانسان ، وحين يخاطب الرجل فلا ينسى أن يخاطب المرأة · وحين يقول بالجهاد والحرب فلا ينسى ان هذا من أجل السلام ، وهكذا فالاسلام فى كل معالجاته . وفى كل القضايا التى تناولها لايغفل النظرة التكاملية ، تأكيدا منه لتكاملية الحياة وتداخل خيوطها ، وتماسك جوانبها ·

٣ - قابليـة التحقيق :

والأهداف التربوية التى يحددها الاسلام ليست « يوتوبيا » تعيش فى عقول أصحابها أو خيالاتهم · وليست مثلا تحلق فى عالم غير عالمنا لانعرف عنه شيئا · وأنما هى أهداف تنبع من واقعنا الذى نعيش فيه بكل صراعاته وتناقضاته ، ومن أرضنا التى نحيا عليها بكل صعابها وعوائقها · الأهداف التربوية الاسلامية ليست احدى ثمار أحلام اليقظة ، وليست وليدة نشوة خيال ، وانما هى واقع يوجه ويقود ، ويشد كل أطراف العمل التربوى من أجل تطوير الواقع الذى نعيش فيه واصلاحه ·

وقابلية التحقق تأتى من كون الاسلام دين يسر وسماحة ، فهو قـــدر قدرات الطبيعة الانسانية وراعى حدود طاقاتها « لايكلف الله نفسا الا وسعها » و « لن يشاد الدين أحد الاغلبه » · على ان قابلية التحقق تأتى من كون الاسلام دين الفكر والاقتناع · فالاقتناع بالأهداف يعنى امكانية تحقيقها ، بل والحرص على تحقيقها · وحين لايكون هناك اقتناع بالهدف فلا يمكن أن يكون قابلا للتحقق اللهم الا عن طريق القسر والارغام ·

وقابلية التحقق تأتى أيضا من كون الاسلام قد يسر السبل والوسائل الكفيلة بتحقيق الهدف • فالأهداف التربوية الاسلامية ليست شعارات براقة ، أو عبارات جوفاء وانما هى مشروعات واقعية متجددة •

فمثلا حين يدعو الاسلام لتحقيق الذات وحين يتخذ هذا هدفا تربويا فلابد أن يوفر الضمانات الكفيلة بتحقيق هذا الهدف فيقرر الحرية فى كل ضروبها ، ويدعو للعمل بدل البطالة والعيلة ، ويوفر فرص السعى والكفاح ، ويبغض فى الذلة والسؤال بحجة البقاء فى المكان « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » • ويكفل الأمن للنفس والمال والعرض •

هنا يكون تحقيق الذات هدفا ممكنا قابلا للتحقق عن طريق الاقتناع به ، وفى ضوء الوسائل المتاحة الكفيلة بتحقيقه •

٤ ـ المرونـــــة :

والأهداف التربوية فى ضوء الفكر الاسلامى ليست جامدة متصلبة ، وانما هى اهداف حية مرنة تتسع لتشمل كل حركة الحياة فى مختلف مجالاتها •

ومرونة الأهداف ناجمة عن مرونة الطبيعة الانسانية نفسها قال تعالى : « ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فتغيير الله تعالى لقوم ما هدف مرتبط بتغيير الطبيعة الانسانية نفسها • وتغير الطبيعة الانسانية لابد وأن يستتبعه تغير الهدف • والقول بأهداف ثابتة جامدة لامجال معها للتغيير أو النمو قول باطل ، فمن طبيعة الهدف التوجيه والتبصير بالوسيلة • والحياة متحركة متغيرة وهى فى حاجة دائمة الى التوجيه والوقوف على الوسيلة الممكنة• ومن هنا فكثيرا ماتحدث القطيعة بين الهدف الثابت غير المرن وبين الحيـاة المتجددة المتطورة • ويوم أن تحدث القطيعة يوم أن تفلس النظرية التربوية التى تصوغ هذا الهدف وتنادى به • والمرونة تأتى من كون الفكر الاسلامى يتسم بالوضوح والواقعية والنظرة التكاملية •

فالمرونة معناها احاطة تامة بالهدف وادراك واع بوظيفته ، ووقوف على الوسائل الممكنة الكفيلة بتحقيقه ، ومعرفة صلته بغيره من بقية الأهداف •

ولقد عانت الفلسفة المثالية كثيرا من جراء هذا فقالت بأهداف مطلقة لامجال فيها للتجريب أو الاختبار ، اهداف معزولة عن الواقع المتغير لأن الثابت حسب زعمها - جوهر والمتغير عرض ، وما يهمها هو البحث عن الثابت لا عن المتغير ٠

فالأهداف فى التربية الاسلامية مرنة مرونة الفكر الناجمة عنه ، قادرة على تحقيق التجدد والتطور كالدين الذى تقوم عليه ٠

٥ - العموميـــة :

واذا كانت الأهداف فى ظل الفكر الاسلامي مرنة ، فمرونتها تنبع أساسا من عمومية المبادىء الاسلامية ٠ وقد سبق القول بأن الاسلام قد رسم الأطـر العامة لتنظيمات الحياة ، ووضع الخطوط البارزة لضبطها وكيفية سيرها ٠ أما ماعدا هذا من تفريعات وجزيئات فقد ركن أمرها الى العقل يعالجها وينظمها بما يحقق الصالح العام للفرد وللمجتمع ٠ ولقد كان الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية هو الباب الذى يدلف العقل الانسانى من خلاله الى هذه الممارسات الجزئية ٠ أما الاطار العام فهو من صنع الحكيم الخبير والعقل السليم الذى آمن بالله واهتدى اليه لابد أن يقتنع ويؤمن بهذا الاطار ، ولا يفكر فى الخروج عليه أو الرفض له ٠

فعمومية الأهداف تسمح بالحركة والاختيار بين البديلات ، كما تسمح بممارسة الحرية من خلال اطار ديمقراطى سليم فالاسلام - مثلا - حين يجعل من كسب الرزق هدفا تربويا فهو لايهتم بأى الطرق نأخذ من أجل تحقيق هذا الهدف ، وفى أى طريق من طرق الكسب نسلك ٠ بل يدع ذلك للاجتهاد الانسانى الذى يختار بين البديلات والذى يقيم اختياره على أساس من الامكانات المتاحة ، ويكتفى الاسلام بتحديد الاطار العام السليم للكسب ٠

٦ - شرعية الوســائل :

والفكر الاسلامى لايقول بالفصل بين الوسائل والأهداف ٠ وانما يعـد

الوسيلة جزءا من الهدف • ولأن الأهداف طيبة فالوسائل التى تعمل على تحقيقها هى الاخرى لابد وأن تكون طيبة • فالغاية هنا لاتبرر الوسيلة بل تؤمن بها • فهدف كسب العيش مثلا لايسعى اليه عن طريق الغش وأعمال النصب والرشوة والاحتيال ، بل عن طريق السعى الطيب والكد المدوح • فالأهداف لاتنفصل عن وسائلها ذاك لان الأهداف تعمل على تحقيق صالح الفرد والمجتمع • وهذا لايكون الا بالوسائل الشرعية السليمة • يقول الحديث الشريف « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى » • فالنية هنا شرط ضرورى فى تحقيق الهدف ، والنية هنا هى التى تدفع الى اختيار الوسيلة الشرعية الصحيحة • واذا كانت الضرورات تبيح - على ندرة - المحظورات فذاك حين يحدق الخطر بالحياة نفسها فمثلا حين أباح الاسلام أكل الميتة للمضطر فذاك حفاظا على حياته وابقاء عليها • وحين أباح شرب الخمر للمريض فذاك من أجل التداوى والشفاء •

ولأن الاسلام حريص على شرعية الوسائل لذا فهو يقول باليسر وعدم التكليف بما فوق الطاقة فاذا كان من الاهداف التربوية الحرص على سلامة الجسم وصحته فان الاسلام قد شرع التيمم اذا كان الماء يعرض الجسم للخطر •

ان شرعية الوسائل تكمن أصلا فى بساطة الأهداف وامكانية تحقيقها وتوفر الوسائل الممكنة الكفيلة ببلوغها •

٧ - الانسانية :

ان عمومية الرؤية للطبيعة الانسانية تفترض الانسانية فى الهدف وقد سبق القول بأن الاسلام دين انسانى شامل ليس خاصا بجيل دون آخر وليس وقفا على مكان دون غيره ، بل هو دين يتخطى حواجز الزمان والمكان ليخاطب الانسان فى جوهره وحقيقته • وهو يسقط كل الحواجز التى يصطنعها البشر من جنس أو لون أو غنى أو مجد • ويقيم معيارا واحدا فقط هو التقوى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » • فالفكر الاسلامى حين يضع للتربية هدفا فانما يخلع على هذا الهدف

سمة انسانية • تلك السمة التى تمتد لتشمل كل شىء بما فى ذلك الحيوان حيث يدعو الاسلام للرفق به والشفقة عليه •

الاسلام يهدف الى بناء مجتمع انسانى عام يسوده السلام ويشمله الحب، مجتمع يسمو فوق خلافات العقائد والايديولوجيات ، مجتمع يكرم فيه الانسان لذاته • وحين يضع الفكر الاسلامى هذه الخاصة للاهداف التربوية فهو لايغفل الطابع القومى أو الوطنى للاهداف . بل يدعمه ويؤكده ، فالمجتمع الانسانى العام هو مجتمع أعم وأشمل يضم كل القيم والمثل التى يأخذ بها المجتمع القومى ويمجدها •

ولاشك أن هذه الخاصة فى الأهداف تنتقد فى كثير من النظريات التربوية التى قامت على أساس من العنصرية والقومية والعصبية الفكرية مثل التربية النازية والتربية الأوربية التى مازالت تقول بالتفرقة العنصرية ومثل التربية الماركسية •

وحين يتجه الاهتمام الآن الى ضرورة الأخذ بالهدف الانسانى فى التربية عن طريق المؤتمرات العلمية ، أو المعسكرات الطلابية ، أو الدورات الرياضية أو غير ذلك من أساليب التربية التى تهدف الى التقريب بين الشعوب وتحقيق التفاهم بينها ـ فان هذا الاهتمام لم يكن جديدا على الفكر الاسلامى لأنه مبدأ من مبادئه واساس من أسسه •

هذه الخصائص ضرورية فى اى هدف تربوى ينبثق عن الفكر الاسلامى ويتخذ من الاسلام مصدرا له • وهى ضرورية اذا ماأريد للهدف التربوى أن يؤدى دوره فى قيادة العمل التربوى وتوجيهه •

أنـــواع الأهـــداف :

ان من يرجع لتاريخ الامم المختلفة ليجد ان تحديد الهدف من التربيـــة يختلف باختلاف الأمم حسب نظريتها للفرد ، وتفكيرها فيما تراه ضروريا

لسعادتها كما يختلف باختلاف رجال التربية وفلاسفتها • فهناك من يذهب الى أن كسب العيش هو الهدف من التربية ، ولتحقيق هذه الغاية يجب اختيار المواد الدراسية التى لها صلة وطيدة بالحياة العملية • وهناك من يذهب الى أن تحصيل العلوم هو الهدف من التربية ، وعلى هذا تصبح التربية مرادفة للتعليم • وهناك من العلماء من يذهب الى أن الهدف من التربية هو الاعداد للحياة الكاملة بحيث تعالج التربية كل جوانب الطفل فتعطى الجسم حقه من العناية ، والعقل نصيبه من التربية ، والخلق حظه من التهذيب ، فتعنى عناية كبيرة بتربية اليد والجسم والرأس والقلب والذوق واللسان ولا تهتم بناحية وتغفل أخرى ، بل تهتم بنواحى التربية المختلفة (١٩) •

وهناك أيضا من يرى أن الهدف من التربية هو تحقيق الذات ، كما أن هناك من يذهب الى ان الهدف هو الخير الاجتماعى • وهناك من يذهب الى أن الهدف من التربية هو السمو الروحى • وهنا كمن يرى أن الهدف للتربية هو اشباع الميول والحاجات • وهكذا تتعدد الاهداف وتختلف وفقا لتعدد الرءوى واختلاف وجهات النظر •

وبالرجوع الى تاريخ التربية الاسلامية نجد أيضا اختلافا فى تحديد الهدف ، فيذهب « خليل طوطح » الى ان التربية الاسلامية كانت تهدف الى أربعة أهداف : هدف دينى ، وهدف اجتماعى ، وتلذذ عقلى ، وهدف مادى • أما « أسماء فهمى » فهى تذهب فى كتابها « مبادىء التربية الاسلامية » الى أن التربية تهدف الى ثلاثة أهداف : هد فدينى وهدف عقلى ثقافى ، وهدف نفسى •

ويحاول البعض ان يحدد اهداف التربية الاسلامية من واقع تاريخها فى الآتى : -

١ - الهدف الدينى كهدف أسمى للتربية ، فقد كان القرآن الكريم مرجع

---

(١٩) محمد عطية الأبراشى ، روح التربية والتعليم ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م ، ص ص ٥٣ - ٥٨ •

المسلمين من أمور العبادة والشرع والحياة الاجتماعية والسياسية ، واليه يرجع الفضل فى انتشار القراءة والكتابة وتأسيس المدارس ٠

ولم تكن هناك تفرقة بين التعلم والعبادة فكلاهما قربى الى الله ٠ وقد كان الغرض الدينى أوضح من الدنيوى فى عصرين أولهما العصر الاسلامى الأول الذى ينتهى بنهاية الدولة الأموية وعصر الفلاسفة المتأخرين مثل الغزالى واخوان الصفا ٠

٢ ـ الهدف الاجتماعى ، فقد استطاع المسلمون فى العصر العباسى الأول تكوين طبقة من الناس هى طبقة العلماء بعد أن كان عددهم قليلا ٠ ولقد كان يرتفع قدر العالم بمقدار ما يتحلى بـه من علم وثقافة ٠ لذا كان اكتساب العلم سبيلا للرقى الاجتماعى ٠

٣ ـ هدف العلم لذاته ، ومن يقرأ التاريخ ، وكتب التراجم مثل « وفيات الاعيان » يجد عددا كبيرا من طلاب العلم تركوا أوطانهم وقضوا شطرا كبيرا من حياتهم فى طلب العلم ٠

٤ ـ هدف نفعى أى الحصول على أجر مادى مقابل المنفعة العلمية ٠ فعندما تشعبت أمور الدولة الاسلامية أصبحت فى حاجة شديدة الى من يمارس وظائفها المختلفة الكثيرة ٠ وكانت ممارسة هذه الوظائف مشروطة بالتعليم وكان من يشغل وظيفة ما من هذه الوظائف يحصل على الجزاء المساوى المختص لهذه الوظيفة ٠

٥ ـ هدف حزبى أو مذهبى ، فقد أنشئت مدارس ومعاهد كان الهدف منها تأييد مذهب بعينه كما فعل الفاطميون عندما أنشأوا الازهر من أجل الترويج لمذهب الشيعة (٢٠) ٠

---

(٢٠) صالح عبد العزيز ، تطور النظرية التربوية (مرجع سابق) ، ص ص ١٤٢ ـ ١٤٩ ٠

ويحاول بعض آخر أن يحصر الاهداف التربوية فى هدفين : أحدهما دينى، والآخر دنيوى ويتمثل الهدف الدينى فى الاعداد للآخرة • أما الهدف الدنيوى فيتمثل فى اعداد الفرد للحياة العملية (٢١) •

ويقول بعض ثالث أنه لاتوجد أهداف للتربية الاسلامية عند العرب تعمهم على وجه الاطلاق (٢٢) •

ويمكن القول بأن تحديد الهدف كان يتوقف على طبيعة العصر الذى تمارس فيه التربية ، على أنه يمكن تحديد الأهداف التربوية - على وجه التقريب - من منظور الفكر الاسلامى ومن خلال رؤيته للطبيعة الانسانية بعيدا عن التطبيق أو الواقع التاريخى المتغير •

ولقد استطاع الامام محمد عبده أن يستشف هذه الرؤية ، وأن يتبين طبيعة الهدف الذى ينبغى أن تسعى اليه التربية فقال : « اذا وجه العقل نظر الاعتبار للاجسام الحية النباتية أو الحيوانية أو الانسانية ، علم أن قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخله فى قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالغلبة على باقيها غلبة تقضى بظهور خواصه وتسلطها على خصائص البقية . بذلك التناسب يتم للبدن الحى ما يسمى بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة • فان غلب أحد العناصر على سائرها انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم • وكما يكون الاختلاف بتغلب بعض العناصر كذلك يكون فعالية المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه ••• وروح الكمال الانسانى انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة ، وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة

---

(٢١) عبد الرازق أحمد المكى ، الفكر الفلسفى عند ابن خلدون ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة الاسكندريه ، كلية الآداب ، ١٩٦٨ م ، ص ٣٧٠ وما بعدها •

(٢٢) أحمد فؤاد الأهوانى ، التربية فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص٩٢ وانظر : محمد فوزى المعتيل ، التربية عند العرب ، المكتبة الثقافية ، عدد ٥٧ ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ، ص ١١ •

المعتدلة التى هى ركن لبيت سعادة الانسان ... وقد وضعت علوم التربية والتهذيب لتحفظ على النفس فضائلها وتذريها عليها ان اختلت أو انحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج » (٢٣) .

وفى ضوء الفكر الاسلامى عموما ، وفى ضوء رؤيته للطبيعة الانسانية على وجه الخصوص يمكن بلورة الاهداف التربوية فى الآتى :

١ - أهداف جسمية :

فالجسم هو أداة الاتصال بين العالم الروحى وبين العالم الارضى ، والتربية مطالبة بأن توفر للجسم مطالبه وحاجاته ، فتشبع هذه الحاجات عن طريق الاعداد لكسب الرزق طلبا للرزق فتنمى المهارات الجسمية ، وتغرس فى نفس الطفل حب العمل والنظر اليه كقيمة معيارية تفاضل ما بين الناس. كذا أيضا فان التربية مطالبة بأن تعلم التلاميذ كيف يعتدل فى اشباع الحاجات الجسيمة فلا يكون نهما ولا شرها . وأيضا فان التربية مطالبة بأن تعلم التلميذ كيف يحافظ على صحته عن طريق النظافة وعن طريق تبصيره بالثقافة الصحة . فالاسلام يهدف الى بناء المسلم القوى العزيز الصحيح المعافى . يقول الرسول الكريم « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف» ويقول أيضا فى الحث على العمل : « اليد العليا خير من اليد السفلى » . والاسلام دين العمل وكثيرا ما نجد الايمان فى الآيات القرآنية مرتبطا بالعمل. والعمل يقتضى قوة من الجسم وصحة فى البدن . ومن أساليب تقوية البدن ممارسة الالعاب الرياضية ، ولقد دعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ذلك حين قال : « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » . كذا أيضا فان التدريب العسكرى من شأنه أن يكسب الجسم صلابة وقوة قال تعالى : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » . والتربية مطالبة بأن تبصر التلميذ بالمحرمات من الطعام والشراب والملبس وغيرها من الرغبات حفاظا على الجسم وابقاء عليه صحيحا . فالفكر التربوى الاسلامى يولى الجسم عناية فائقة لانه مصدر السلوك وأساس النشاط الدنيوى والدينى .

---

(٢٣) محمد رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام ، ج ٢ ، ص ص ٢ - ٥ .

٢ - أهـــداف عقليـــة :

واذا كان الاسلام يعنى بالجسم فهو أيضا يعنى بالعقل وهو صنو للجسم وموجه لـه • وحتى يكون سلوك الجسم صائبا وسليما فلابد أن يكون العقل الذى يسيره سليما • وتتضح عناية الاسلام بالعقل من أنه جعله أساس الايمان ، وعندما يخاطب المؤمنين فهو يخاطب فيهم عقولهم • والقرآن نفسه معجزة عقلية فى المقام الأول ولأن العقل هو الخاصة التى انفرد بها الانسان ، لذا كان الاسلام دين الشمول لأنه يخاطب عقل الانسان وفكره • وحين يكفر الانسان فان اللـه تعالى يهدده ويتوعده بعد أن زوده بالعقل ووسائطه الحسية من سمع ولمس وبصر وشم وذوق •

والعلم هو السبيل الى صقل العقل وتهذيبه وجعله قادرا على توجيـه الانسان فى سلوكه ، فالعلم هو أساس عقيدة التوحيد « شهد اللـه أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » •

ولقد مجد القرآن الكريم العلم حتى ان مادة « عـلم » ومشتقاتها وردت فى القرآن نحو ٨٨٠ مرة ، ويكفى أن كانت أول آيـة نزلت فى القرآن الكريم هى « اقرأ باسم ربك الذى خلق » والقراءة هنا تعنى العلم والفهم • ولقـد جعل اللـه تعالى العلماء أهل خشية « انما يخشى اللـه من عباده العلمـاء » كما نفى المساواة بين العلماء وغيرهم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » • ولقد قال الرسول الكريم « من سلك طريقا يلتمس فيه علمـا سهل اللـه لـه طريقا الى الجنة » وقال : « من خرج فى طلب العلم كـان فى سبيل اللـه حتى يرجع » • والحديث كثير فى فضل العلم وفضل أهله • والعلم هنا يشمل كل الاساليب الفكرية التى من شأنها أن تهذب العقل سواء أكانت هذه الاساليب نظرية مجردة تعتمد على التأمل والتفكير والاستنباط ، أم تجريبية تقوم على الملاحظة والمشاهدة والاستقراء •

فالتربية مطالبة بأن تنمى العقل وتستغل طاقاته فى الابداع والابتكار ، كما أنها مطالبة بأن تزوده بأسس التفكير السليم ، وأن تعـلم التلميـذ كيف

يستطيع أن يربط ما بين فكره وسلوكه ، وكيف يمكنه أن يتغلب على المشكلات ، وأن يقيم فى النهاية ايمانه على أساس من التفكير السليم ٠

٣ - أهداف روحية :

عنى الاسلام أيما عناية بالجانب الروحى فى الانسان ، فيه يكون الايمان، وعنه تصدر الارادة القوية والنشاط الخلاق ومن خلاله يستشرف الانسان لعالم الخلود والازلية ٠ لذا حرص الاسلام على نقاء هذا الجانب وطهارته ، بحيث يسمو الانسان فوق رغباته ، ويتحرر من ربقة الجسد وأغلال المادة٠ واتجه الاسلام أول ما اتجه الى معالجة هذا الجانب فحرر الانسان من أدران الشرك والوثنية وربى فيه معنى الحب والسكينة ، ومعنى الخوف والوجل ، ومعنى اللذة فى الايمان والحلاوة فى الطاعة ٠ يقول تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ، ويقول تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » ٠ واتجاه الاسلام لمعالجة هذا الجانب يمثل الركيزة الاولى التى قام عليها صرح الاسلام ، فثورة الاسلام كانت أولا ثورة على المعتقدات الزائفة التى علقت بالروح ولم يكن يتسنى للدعوة الاسلامية أن تغير الحياة ما لم تتجه أولا الى تغيير النفس يقول تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»٠ فتربية الروح ، وصقل النفس ، وتهذيب الشعور وارهاف الحس كلها أهداف تسعى التربية لبلوغها ، وتعمل على توفير الوسائل الكفيلة بتحقيقها ٠

وواجب التربية أن تعمل على اثراء الخبرات الروحية للتميذ ، فتربى فيه الاحساس بحلاوة الايمان ولذة الطاعة والخضوع لله ، وتبث فيه شعور الثقة والسكينة ، وتنمى فيه القدرة على التذوق الجمالى حتى يستشعر عظمة الخالق وجلاله فيما خلقه وأبدعه ، فيقف على خفايا هذا الوجود وأسراره ٠ وبذا يزداد ايمانه ويشعر بحرارة اليقين تسرى فى كل جوانبه ٠ ولم يكن الاسلام ليحارب الفن الهادف وانما أقره لأنه يصدر عن احساس فطرى فى الانسان احساس أودعه الله فى الطبيعة الانسانية لتقوى على التأمل ، والاستغراق فى عظمة الخالق وجلاله والفن فى أرقى صوره يعنى التفانى فى

اللـــه خالق هذا الوجود . كما يعني الاتجاه الكامل اليه . وهذا قمة الايمان.

والتربية في معالجتها الروحية هذه انما تستهدف بناء المؤمن ، الحـر ، الورع ذى الشعور النبيل ، والاحساس المرهف ، القادر على البذل والفداء .

٤ ـ أهـــداف خلقيـــة :

والاهداف الخلقية وثيقة الصلة بجانب الخير والشر في الطبيعة الانسانية، حيث أن الحكم الاخلاقى على سلوك ما بأنه حسن أو قبيح انما يقوم عـلى الارادة الكامنة وراءه . وقـد تكون هذه الارادة خيرة ليكون السلوك خيرا ، وقد تكون سيئة فيكون السلوك مستهجنا قبيحا . ومن هنا يمكن القول بان محددات السلوك الخلقى أربعة : المصدر والباعث والوازع والغاية .

والاخلاق لا تعنى مجرد سرد بعض النصائح العلمية التى تهدف الى تقويم السلوك أو تعريف الفضيلة وتقسيم الفضائل الى أنواع على النحو الذى قام به ابن مسكويه فى كتابه « تهذيب الاخلاق » ، والغزالى فى كتابـه « جواهر القرآن » فقد حلل مادة القرآن وصنف فيها قسمين كبيرين فى مجـال الاخلاق ، صنف يتصل بالناحية أى بالمعرفة ، وصنف يتصل بالسلوك أى بالناحية العلمية وقد خص الصنف الأول بـ ٧٦٣ آيـة من آيـات القـرآن وخص الصنف الثانى بـ ٧٤١ آلة ومجموع الآيات ١٥٠٤ وهى تمثل ما يقرب من ربع عدد آيات القرآن . أما الآيات الباقية فلا تتصل فى نظره الا بمسائل فرعيـة أو مكملة (٢٤) .

الاخلاق تعنى تلك القواعـد والقيم التى يدين بهـا المجتمع ويلزم بها أفراده معنى هذا أن الاخلاق تصدر عن فلسفة المجتمع وعن تراثه الثقافى ، كما أنها تعنى الجانب السلوكى للانسان .

والسلطة الملزمة فى الاخلاق تستمد من سلطة المجتمع نفسه . والاخـلاق

---

(٢٤) السيد بدوى ، الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع (مرجـع سابق) ، ص ٦٦ .

لاتقف عند مجال معين من مجالات الحياة بل تشمل كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية • فلكل مجال معاييره الخلقية وضوابطه السلوكية •

وتلتقى هذه المعايير جميعا فى مبادىء واحدة لأنها تهدف الى غاية واحدة فالاخلاق نتاج للخبرات الاجتماعية المتبادلة • والاسلام هو دين الخلق ، فالدين معاملة ، والمعاملة سلوك له ضوابطه ومعاييره • ولقد مدح الله تعالى نبيه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » ، وقال الرسول الكريم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » والاخلاق فى الاسلام مصدرها القرآن والسنة والاجماع والاجتهاد ، فهذه المصادر كلها تعمل على تقنين السلوك الانسانى ووضع ضوابط له • وهى ليست خارجة من نطاق الطبيعة الانسانية بل هى تتلاءم تماما مع طبيعة تكوينها . فالطبيعة الانسانية قد عرفت فى تكوينها الأول معنى الخير والشر قال تعالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » وألهم الانسان الحدس الخلقى فعرفت طريق الفضيلة والرذيلة قال تعالى : « وهديناه النجدين » وقد تندفع الطبيعة الانسانية نحو الشر فقال تعالى : « ان النفس لأمارة بالسوء » ، ولكن الانسان قادر على كبح جماح شهواته عن طريق العقل والوجدان • فالاخلاق هى التكاليف ولا يكلف الله نفسا الا وسعها • والاخلاق الاسلامية فى ضوء المصادر الاربعة تتصف بالعمومية والمرونة والتكيف مع ضرورات العصر وتطورات الحياة فهى عامة ونسبية ، ثابتة ومتطورة •

أما عن الباعث الخلقى فى الاسلام فهو يتمثل فى الارادة الخيرة والنية الحسنة فيقول الرسول عليه السلام « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » والارادة الخيرة تصدر عن الايمان الصادق ، وبقدر ما يكون المؤمن صادقا فى ايمانه بقدر ما يكون حسن النية خير الارادة والارادة الخيرة لا تتوفر للانسان الا اذا كان حرا فى سلوكه قادرا على أن يختار ، مسئولا عن تصرفاته فالحرية هى أساس الارادة الخيرة ولا يمكن للارادة ان توصف بانها خيرة أو شريرة أو كان الانسان مسلوب الحرية لانه حينئذ سيكون مسيرا وليس بمخير •

أما الوازع الدينى فيتمثل فى وازع داخلى نفسى ، ووازع خارجى اجتماعى والوازع الداخلى هو ما يطلق عليه اسم « الضمير » والضمير فى الاسلام هو الذى يقوم بدور الضبط والتوجيه والمحاكمة الداخلية ، وهو الذى يقوم بالتأنيب واللوم عند وقوع الخطأ وهو الذى أقسم الله تعالى به فى قوله « ولا أقسم بالنفس اللوامة » • والضمير فى أساسه يعتمد على العقل والوجدان معا وهما فى المؤمن الكامل يكونان متعاونين لا متعارضين فليس الضمير عقلا جافا ، وانما هو احساس وشعور يغذى العقل وينميه ويصقله ويهذبه • والاحساس هو الذى يلهم الانسان بالصواب عندما يختلط الأمر يقول الرسول الكريم : « استفت قلبك » • وقد سبق القول بأن القرآن الكريم كان يعبر أحيانا عن العقل بالقلب « لهم قلوب لا يعقلون بها » •

اما الوازع الخارجى فهو يتمثل فى الحدود وفى أساليب العقاب التى تعارف عليها المجتمع •

أما الهدف الخلقى فهو تكوين ذلك النموذج من الشخصية التى يطلق عليها علماء النفس مصطلح « الشخصية المتكاملة » • وقد رسم الرسول عليه السلام نموذجا لهذه الشخصية لتكون هدفا للتربية فقد بعث الرسول ليتمم مكارم الاخلاق ويوجه الانسانية الى ما يصلح شئونها وفى مقدمة الاخلاق أن يكون الانسان شجاعا فى الحق ، صريحا لا يخضع فى تصرفاته لغير الله والضمير حسابا • (٢٥) •

فالهدف الخلقى فى التربية يعنى حسن السلوك ، ولقد رتب « جون لوك » (١٦٣٢ - ١٧٠٤ م) أهداف التربية حسب الاهمية فذكر أولا الفضيلة ثم الحكمة ثم العلم • أما « سبنسر » فيرى أن الهدف الهام للتربية يمكن تلخيصه فى كلمة واحدة هى الفضيلة (٢٦) •

---

(٢٥) مصطفى فهمى ، الانسان وصحته النفسية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٧١ م ، ص ٢١٧ •

(٢٦) محمد عطية الابراشى ، روح التربية والتعليم ، (مرجع سابق) ، ص ٧٣ •

فالهدف الاخلاقى فى التربية الاسلامية صادر عن ايمان وفكر دقيق ملم بخبايا الطبيعة الانسانية ومحيط بأبعادها • وهو بهذا يغاير المذاهب الاخلاقية المختلفة ومنها المذهب الدينى الذى يرى أن الدين هو أصل كل انتظم دون أن يدخل فى الاعتبار ثقافة المجتمع وتراثه • ومنها المذهب المثالى على نحو ما قال به«أفلاطون» «وكانت» حيث يهتم هذا المذهب بما ينبغى أن يكون دون أن يعنى بما هو كائن • ومنها المذهب المنفعى الذى قال بـه « جيرمى بنثـام » (١٧٤٨ ـ ١٨٣٢م) و « ستيوارت ميـل » (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣ م) وهـذا المذهب يقول بأن الاخلاق رهن بنتيجتها • ومنها المذهب التطورى الذى نادى بـه « سبنسر » وهو يقول ان السلوك الجيد هو السلوك المتكيف لغـايات جيدة • ومنها المذهب التحليلى الذى نادى بـه « ديـوى » والذى قال ان المثل الاخلاقية تتكامل من خلال عملية نمو متدرج من مرحلة لأخرى بحيث يصبح من الصعب تحديد معالم السلوك الخلقى تحديدا واضحـا (٢٧) •

فالهدف الاخلاقى فى الفكر التربوى الاسلامى هدف يقوم على تشريـع حكيم وعلى ارادة خيرة حرة ، وعلى ضابط داخلى وخارجى ، بحيث يسلك الانسان السلوك السليم الذى يحقق لـه الامن والسعادة وللمجتمع التكامل والتقـدم •

٥ ـ أهـداف فرديـة اجتماعيـة :

ومن منطلق البعد الفردى الاجتماعى فى الطبيعة الانسانية تعمل التربية فى ضوء الفكر الاسلامى على تنمية هذا البعد ، وصقله وتهذيبه بصورة متكاملة لا تطغى فيها الفردية على الاجتماعية حيث تكون الأثرة والأنانية ومراعاة الحاجات الخاصة • ولا تجيف فيها الاجتماعية على الفردية حيث يكون الفرد صورة مكررة لغيره دونما تميز أو تغاير • وفى هذه الحالة تنعدم روح التنافس وتقتل روح الابتكار وتصبر الشخصية اتكالية مسلوبة الارادة • فالتربية فى

---

(٢٧) محمد جواد رضا ، فلسفة التربية واثرها فى تفكير معلمى المستقبل دراسة تجريبية ، الكويت ، المطبعة العصرية ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٥ ـ ١٣١ •

ضوء الفكر الاسلامى تعمل على تحقيق الذات فى كل جوانبها المختلفة وذلك من خلال ممارسة الذات لحريتها الفكرية والسياسية والدينية • ومن خلال البيئة الصالحة التى يحيا فيها الانسان حيث ان الذات هى محصلة التفاعل بين الداخل والخارج انما يتم فى ضوء المبادىء العامة التى استنها الدين وشرعها للناس • وهذا ما تمكن مساعدته فى التشريع الاسلامى فى العبادات والمعاملات والحدود • والاسلام يقرر تأكيد الذات عندما يقرر المساواة بين الناس ، وعندما يضع معيارا واحدا للتفاوت بينهم هذا المعيار هو التقـــوى « ان اكرمكم عند اللـــه اتقـاكم » •

وتحقيق الذات يعنى اطلاق كل القـدرات والإمكانات الكامنة فى الانسان واستغلال كل المواهب التى زود بها بما يتحقق معه كيانه الخاص ووجـوده المستقل•واذا كانت الذات تتأثر بثقافة المجتمع وتتحقق من خلال اكتسابها لها فانها أيضا لاتقف من هذه الثقافة موقفا سلبيا بل تتفاعل معها تأثرا وتأثيرا بشكل ايجابى ، فتأخذ منها وتعطيها • وبذا تنمو الثقافة وتتطور وتتكيف وفق جهود الفـــرد (٢٨) •

وتحقيق الذات يعنى مخاطبة الجانب الانسانى فى الفرد • والاسلام حين يخاطب الفرد فهو يخاطبه باسم الانسان ، أى يريد لـــه أن يحقق ذاتـــه ويؤكد وجـــوده •

وقـد تحقق هذا فى تربية الرسول عليه السلام لصحبه فقدكان كل منهم أمـــه فى فرد ودولة فى شخص ، وكان كل منهم قدوة حية ومثلا يحتذى ، وتجسيدا لمثـل عليـا مع اختلاف فى الطابع وتفاوت فى الشخصية •

ومع أن الاسلام يؤكد الهدف الفردى فهو أيضا يولى عناية كبيرة للهدف الاجتماعى • وانطلاقا من الهدف الفردى يتحقق الهدف الاجتماعى • فتحقيق الذات يعنى توافر الطاقات الحية الصالحة لبناء مجتمع سليم • من هنـــا

---

(٢٨) حسن الفقى ، الثقافة والتربية (مرجع سابق) ، ص ٤١ •

فان التربية فى ضوء الفكر الاسلامى تستهدف تحقيق التكافل الاجتماعى والتعاون فيما بين الافراد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وهذا ما عبر عنه الرسول الكريم بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» . والهدفان يرتبطان فيما بينهما ارتباطا وثيقا فتحقيق الذات لا يتحقق الا من خلال التكافل الاجتماعى والا فكيف يمكن لفقير مثلا أن يستغل مواهبه الفكرية ويحقق ذاته دون أن يجد العون والمساعدة من المجتمع . كذا أيضا فان التكافل الاجتماعى انما يتم بتحقيق الذات . فتحقيق الذات يعنى وعى الانسان بحقوقه وواجبه نحو الآخرين . وتحقيق الذات نفسه عملية اجتماعية فى أساسها والتكافل الاجتماعى يعنى الايثار والتضحية والتزام النظام وبذل الجهد والاحسان ، ومساعدة الضعيف وغير ذلك من الفضائل التى تكفل للمجتمع قوته ورفعته .

والتربية بمقدورها أن تحقق هذين الهدفين معا ، فتنمى فى الطالب جانب الذاتية ، كما تنمى فيه الجانب الاجتماعى ، بذا يتحقق الشخصية المتكاملة ويمكن أن يتم هذا من خلال المادة الدراسية التى تبصر التلميذ بحقوقه وواجباته كمواطن والتى تحترم فيه ذاتيته ، وتبين له ما ينبغى أن يقوم به نحو الآخرين باعتباره عضوا فى مجتمع . كما يمكن أن يتم هذا من خلال الانشطة المدرسية المختلفة التى تنمى روح التعاون والتكامل وكالنشاط الرياضى والثقافى والفنى فمن خلال ممارسة هذه الانشطة ينمى التلميذ ميوله واستعداداته ، ويؤكد وجوده كفرد ، كما يؤكد وجوده كعضو له دور فى جماعة . ويمكن أن يتم هذا أيضا من خلال العلاقة التى تربط المعلم بالتلميذ . وهى علاقة قوامها الحب المتبادل والممارسة الديمقراطية السليمة ، والتوجيه الذكى الحكيم .

٦ - أهداف انسانية :

واذا كانت الطبيعة الانسانية متغيرة ومتنوعة وفق تغير البيئات وتنوعها ، فانها أيضا واحدة . والقرآن الكريم حين يخاطب الانسان فانما يخاطب فيه حقيقته الروحية الثابتة يخاطب فيه الانسان الخليفة فى الأرض ،

ولا يأبه لفروق الجنس أو اللون أو اللغة « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ويقول الرسول الكريم: «لافضل لعربي على أعجمي،ولا أبيض على أسود الا بالتقوى». فالانسان يعني جماع المبادىء والقيم والمثل العليا التى تكفل تحقيق الخلافة في الأرض • وهذه المبادىء والمثل واحدة فى كل زمان ومكان ، شاملة لكل الماضى والحاضر والمستقبل ، وهى فى وحدتها وشمولها تمثل وحدة الاسلام وشموله فالاسلام هو الدين العام الشامل الذى يخاطب البشرية كلها على اختلاف ألسنتها وألوانها •

واذا كان الفكر الاسلامى لا يقيم وزنا لعامل اللون أو الجنس ، ويستنكر التفرقة العنصرية ، ويضع معيارا واحدا هو معيار « الانسان » بما يحويه هذا المعيار من قيم ومثل ـ فان التربية فى ضوء هذا الفكر تستهدف بناء هذا الانسان العالمى الذى يحقق الاخوة العالمية ويبنى المجتمع الانسانى فى شكله الأعم ومن هنا فان التربية يجب أن تعمل على تحقيق التفاهم العالمى بالانفتاح الفكرى والاحتكاك السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، كما يجب أن تعمل على تعميق القيم الانسانية وغرسها فى نفوس التلاميذ من حب وسلام ومؤاخاة وتآزر بعيدا عن حساسيات اللون والجنس •

ترابط الأهـــــداف :

تترابط هذه الأهداف فيما بينها ترابط جوانب الطبيعة الانسانية نفسها، ذلك أن هذه الاهداف انما تصدر أساسا عن النظرة الفاحصة لجوانب هذه الطبيعة ، والوقوف على ما بينها من ائتلاف وانسجام • فاذا كان من أهداف التربية أن تحافظ على صحة الجسم وسلامته وأن تزوده بالمهارات المختلفة حتى يمارس وظيفته فى السلوك والنشاط ، فان من أهداف التربية أيضا أن تنمى الجانب العقلى فى الانسان وأن تزوده بأساليب التفكير السليمة ، بما يجعله قادرا على الرؤية والتخطيط والاعداد • واذا كان من أهداف التربيـــة أن تعمق الشعور وتثرى الوجدان ، وترهف الاحساس فان من أهداف التربية أن تخلق الضمير الحى ، والوازع القوى الذى يشرف على سلوك الانســان

ويضبطه ويوجهه • واذا كان من أهداف التربية أن تعمل على تحقيق الذات الفردية ، وبناء الكيان الاجتماعى ، فان من أهداف التربية أن تواجه الفروق فى النوع وان توظفها بما يكفل التنوع فى العمل ، والتكامل فيـه •

واذا كانت التربية الاسلامية تعنى باعداد الطبيعة الانسانية فذاك لأنها تريد للانسان أن يحقق الهدف الاسمى من وجوده ، وهو تحقيق الخلافة فى الأرض تلك التى تسمو فوق نزعات التعصب والعنصرية ، والتى تقوم على أساس من حقيقة الانسان نفسه • وهى الانسانية فى معناها الشامل •

هذا عن الأهداف فى خصائصها ، وأنواعها ، وترابطها ، بعد هذا ينتقل الباحث الى الحديث عن المنهج باعتباره السبيل العملى الذى يكفل تحقيق هذه الأهداف ويحيلها من مجرد امكانات الى واقع محسوس ملموس ، معه ينمو الفرد ، ويتطور المجتمع •

المنهـــــج :

يعنى المنهج فى مفهومه الحديث مجموع الخبرات التى يكتسبها التلميذ سواء من خلال المادة الدراسية أم من خلال النشاط الذى يمارسه داخل المدرسة أو خارجها •

والمنهج بهذا المفهوم ، وفى ضوء الفكر الاسلامى يقتضى من الباحث الالمام بنوعين من الأسس يقوم عليها بناء المنهج هما الأسس الفلسفية ، والأسس النفسية •

الأســس الفلسفيــة :

ان بناء أى منهج يقتضى بالضرورة ، الوقوف على نوع الفلسفة التى يعبر عنها ويعمل على تطبيقها • والفكر الاسلامى ـ كما سبق القول ـ يمثل فلسفة متكاملة الأبعاد متناسقة الجوانب شاملة للحياة بأسرها وفى مجالاتها

المختلفة . ولأن الانسان محور هذه الحياة . ولأنه المسئول عن تحقيق الخلافة فى الأرض ، لذا ارتبطت رؤية الاسلام للحياة برؤيته للطبيعة الانسانية فى كل محدداتها وأبعادها .

وفلسفة الاسلام تقوم أساسا على النظرة الواحدية للانسان ، بمعنى أن الاسلام عندما يخاطب الانسان فانما يخاطب فيه جوهره الحقيقى بعيدا عن اعتبارات اللون والجنس أو الزمان والمكان فالناس كلهم سواسية والطبيعة الانسانية واحدة ، ومن أجل هذا أكد الاسلام على روابط الأخوة والمودة ، ودعا الى حياة انسانية سليمة يتحقق فيها كيان الذات ، ووحدة المجتمع . وواحدية الانسان لاتعنى اغفال الفروق الفردية ، هذه الفروق التى تفرضها بنية الانسان نفسه ، وطبيعة الظروف البيئية التى تحيط به والحياة مع تنوع المجالات وتعدد أنماط السلوك ، توجب الايمان بالفروق واختلاف الافراد فيما بينهم حسب امكانياتهم واستعداداتهم .

كذا أيضا فان فلسفة الاسلام تؤكد التكامل بين جوانب الطبيعة الانسانية . على غرار ماسبق - فترفض أية ثنائية تفصل مابين الجسم واللاجسم ، أو الفردية والاجتماعية أو الوراثة والبيئة ، أو الذكر والأنثى ، ذلك لأن التكامل أساس الحياة ومبعث الحركة فيها . وفلسفة الاسلام حين تؤكد التكامل فانها تقرر ضمنيا حتمية التغير فى الطبيعة الانسانية نفسها ، وفى البيئة التى تعيش فيها . فالتكامل يعنى التفاعل بين جوانب الطبيعة الانسانية بعضها مع بعض من ناحية ، وبينها وبين البيئة المحيطة بها من ناحية أخرى .

والتغير يقوم بالضرورة على دعامتين أساسيتين هما : التفكير والعمل، ووظيفة التفكير انه يمكن الانسان من فرض الفروض ، وتقدير النتائج ، وحساب الاحتمالات والبدائل واقتراح الحلول التى يراها كفيلة بحل الموقف المشكل ومع التفكير يكون العمل والسلوك وبهما يتحقق التغير فى البيئة ، وفى الطبيعة الانسانية ذاتها ، فتتكون الاتجاهات ، وتنمو الميول والاستعدادات، كما تتطور البيئة وتستجيب لاتجاهات الانسان وقدراته .

والتغير هنا تغير هادف بناء • وفلسفة الاسلام مع أنها تفترض حتمية التغير فهى أيضا تفترض حتمية الاستقرار والتوزان ، وذلك فى ضوء مبادىء عامة وتشريعات كلية وضعها الاسلام ، تحكم هذا التغير ، وتكفل له النمو المطرد وفى ظل هذا كله تحقق الطبيعة الانسانية كيانها الذاتى ، ويحقق المجتمع من خلال سلامة السلوك الذاتى وجوده وكيانه •

الأسس النفسية فى المنهج :

درجت التربية التقليدية على تنظيم المنهج تنظيما منطقيا ، يتمثل فى شكل مواد دراسية مستقلة ، تقوم على أساس من الترتيب العقلى البحت ، بعيدا عن ميول التلاميذ واهتماماتهم • وهى فى هذا تصدر عن النظرة الثنائية للطبيعة الانسانية التى تعد العقل الجوهر الحقيقى للانسان • أما التربية الحديثة فقد اتجهت الى بناء المنهج بناء سيكلوجيا ، يقوم على أساس من ميول التلاميذ واهتماماتهم ولان التربية عملية نمو مستمرة ، فيجب على المنهج أن يعمل ، على تحقيق هذا النمو •

وهناك مبادىء عامة للنمو تجب مراعاتها والأخذ بها فى بناء المناهج • وتتمثل هذه المبادىء فى الآتى :

١ ـ النمو عملية تتأثر بالبيئة ، فهى لاتحدث من تلقاء ذاتها ، أو تجرى فى فراغ وانما هى تتوقف على ظروف البيئة ، ومايحدث بينها وبين الفرد من تفاعل مستمر معها ، فالبيئة الصالحة تساعد على النمو السليم ، أما البيئة الفاسدة فهى تعمل على اعاقة النمو ، وتؤدى به الى الانحراف عن الاتجاه الصائب •

٢ ـ عملية النمو عملية تخاطب كل جوانب الفرد ، جسميا ، وعقليا ، وروحيا ، واجتماعيا ويجب على المنهج أن يعنى بكل هذه الجوانب ، حتى يحقق الشخصية المتكاملة •

٣ ـ النمو عملية مستمرة متطورة فهى لاتقف عند سن معين ، أو مرحلة زمنية

معينة ، بل تشمل كل المراحل والأعمار • وهى مع استمرارها تؤدى الى تجديد الخبرات واعادة بنائها •

٤ ـ عملية النمو تتوقف على درجة النضج ، فقدرة التلميذ على التعلم تتوقف على مدى نضجه • فتلميذ المرحلة الابتدائية مثلا له مستوى من النضج معين يتناسب مع مستوى تحصيله • وهو فى هذا يختلف عن تلميذ المرحلة الاعدادية والثانوية •

٥ ـ يختلف النمو فى سرعته ومداه من فرد لآخر ، فهناك اختلافات فى مستوى النمو العقلى ، والجسمى ، والاجتماعى ، والوجدانى ، والروحى • وواجب المنهج أن يراعى هذه الاختلافات وتلك الفروق الفردية • وذلك بالتنوع فى الدراسة والنشاط •

٦ ـ يتضمن النمو عمليتين متكاملتين هما العمومية ، والتخصص • فالتلميذ يدرس الموضوعات بشكل كلى مجمل ، ثم يأخذ بعد ذلك فى التخصيص والتفصيل •

٧ ـ النمو يقوم على أساس من حاجات التلاميذ وميولهم • والحاجات تشمل حاجات التلميذ الجسمية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والروحية . ويجب على المنهج ازاء هذا ان يحدد الحاجات الأساسية للتلميذ ، حتى يستغل فى اشباعها ميول التلميذ واهتماماته •

كما يجب أن يعمل على تنمية الميول المناسبة ، وعلى تكوين ميول جديدة ويجب أيضا أن يوجه التلميذ الى الأعمال التى تناسب ميوله والتى يحرز فيها النجاح (٢٩) •

ولقد راعى الاسلام ـ كمصدر أول للتربية الاسلامية ـ عملية النمو هذه وكفل لها من المبادىء مايضمن تحقيقها واستمرارها • فاذا كان النمو

---

(٢٩) الدمرداش سرحان ، منير كامل ، المناهج (طبعة ثالثة) ، القاهرة ، دار العلوم للطباعة ، ١٩٧٢ م ، ص ص ١٢٠ ـ ١٤١ •

يتأثر بالبيئة ، فقد حرص الاسلام على وجود البيئة الصالحة من خلال العناية بالأسرة وتكوينها على أسس حكيمة ، ومن خلال العناية بالمجتمع ، واقامته على المثل الفاضلة والقيم النبيلة وفى حدث الهجرة تأكد هذا المعنى ، فقد أمر الله تعالى نبيه أن يهجر مكة الى المدينة ، حيث لم تعد البيئة الصالحة لاحتضان بذور الدعوة الاسلامية . فالاسلام معنى أيما عناية بتوفير البيئة الصالحة سواء أكانت بيئة طبيعية أم بيئة اجتماعية .

كذا أيضا فان الاسلام يؤكد على تنمية كل جوانب الطبيعة الانسانية ، لأنه يهدف الى خلق المسلم القوى القادر على أداء الأمانة . واتضح هذا من خلال المعالجة لأهداف التربية بأنواعها المختلفة ، والتى تقوم على الترابط والتكامل . والاسلام أيضا يقول بالنمو المستمر ، ومفهوم التربية المستمرة هو مفهوم أصيل فى الفكر الاسلامى ، يدعم هذا قول الرسول الكريم « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » والاسلام يأخذ فى الاعتبار مستوى النضج ، ولذا أسقط التكاليف الشرعية عن الصبى حتى يبلغ ، والمجنون حتى يعقل ، والنائم حتى يستيقظ . كما حرص فى التكليف على مراعاة الطاقة البشرية . وحرص الاسلام على مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد ، باعتبارها أساس التنوع فى العمل ، والتكامل فيه أيضا . يقول تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (الزخرف ٣٢) ويتضح حرص الاسلام على مراعاة مستوى النضج فى قوله تعالى : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما » (يوسف : ٢٢) . كما يتضح مراعاة الفروق الفردية فى قول الرسول الكريم « نحن معاشر الأنبياء انما نكلم الناس على قدر عقولهم » . ويتضح مراعاة الميول والاستعدادات من قول الرسول الكريم « كل ميسر لما خلق لـه » .

وقد عرف بعض رجال التربية الاسلامية أهمية هذه المبادىء النفسية فى بناء المنهج فتناولوها ، وبينوا أهميتها ، ومن هؤلاء اخوان الصفا ، فقد

وضعوا للمعرفة مراتب ، وجعلوا لكل مرتبة مرحلة معرفية معينة ، فابن الخامسة عشرة له مرتبة من المعرفة ، تقف عند حد ادراك معانى المحسوسات • وابن الثلاثين له مرتبة من المعرفة تتسم بالحكمة • وابن الأربعين له مرتبة من المعرفة تتمثل فى القوة الناموسية التى ترد على النفس بعد سن الأربعين • وابن الخمسين له مرتبة من المعرفة هى المهدة للمعـاد •

كما انهم يضعون للفلسفة مراتب ، أولها محبة العلوم ، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية ، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم (٣٠) •

والحسن البصرى يعد من الشروط التى يجب أن تتوفر بها عـلم الطالب « توفر الذكاء ، والفطنة ، والدافع المستمر الذى يدوم به طلب العلم » (٣١) •

وابن خلدون فى المقدمة يشير لأهمية الميول والاستعداد فيقول بمراعاة قوة عقل الطالب واستعداده لتنزل مايرد عليه (٣٢) •

ويقول حاجى خليفه فى شرائط تحصيل العلم « ومنها ألا يدع فنا من فنون العلم الا وينظر فيه ••• وبعد المطالعة ••• ان مال طبعه الى فن عليه أن يقصده ، ولايتكلف غيره ، فليس كل الناس يصلحون للتعلم ، ولا كل من يصلح لتعلم علم يصلح لسائر العلوم ، بل كل ميسر لما خلق له » (٣٣) •

وهكـذا فـان الفكر الاسلامى قـد وعى هـذه الأسس النفسية ، وعدها ضرورية لأحداث التعلم الذى يقوم به المنهج •

---

(٣٠) عبد اللطيف محمد العبد ، **الانسان فى فكر اخوان الصفا** ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ م ، ص ٣٢٨ •

(٣١) الحسن البصرى ، آدب الدنيا والدين (طبعة ١٢) ، القاهرة المطبعة الأميرية ، ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م ، ص ٥١ •

(٣٢) ابن خلدون ، المقدمة ، كتاب الشعب ، ص ٥٠٢ •

(٣٣) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، جزء أول ، ليبك ١٨٢٥ م ، ص ٢٩ •

محتـــوى المنهـــج :

اذا كانت الوظيفة الأساسية للمنهج هى أن يصل التلميذ الى بلـــوغ الأهداف التربوية التى تسعى اليها التربية ، من هنا فان منهج التربية الاسلامية يجب أن يعمل على تحقيق الأهداف السابقة : الجسمية ، والعقلية ، والروحية، والخلقية ، والفردية ، والاجتماعية ، والانسانية • فيجب أن يتضمن المنهج من المواد الدراسية والأنشطة مايكفل تزويد التلميذ بالمهارات اللازمة التى تكفل اعداده للحياة ، واقداره على الكسب • كما يجب أن يبصره بوسائل الحفاظ على صحته وتنوع بيئته • من هنا فان ممارسة التربية الرياضية وتدريس العلوم الطبيعية مثل علم الأحياء • وتدريس اللغة العربية والتربية الدينية يمكن أن تحقق هذا الهدف فاعداد الجسم القوى السليم القادر على الكسب والمشاركة• كما يجب ان يعمل المنهج على صقل العقل ، وتزويده بأساليب التفكير المختلفة التى تمكن التلميذ من كيفية ممارسة التفكير العلمى الناقد ، وكيف يتغلب على مشكلات الحياة • ويمكن أن تقوم بهذا المواد الرياضية كالهندسة والجبر ، والمواد الطبيعية كالكيمياء والطبيعة ، والمواد الأدبية كالفسلفة والمواد اللغوية كاللغة العربية والانجليزية من خلال عرض نماذج لعلماء ومفكرين كل هذا يمكن أن يسهم فى تحقيق هذا الهدف •

كما يجب أن يعمل المنهج على اثراء الجانب الروحى وتنميته من خـلال الخبرات الحية والمواقف المتجددة • وفى هذا يمكن أن تؤدى المواد الطبيعية دورها ، اذ هى تبصر التلميذ بقدره الخالق وعظمته ، ويمكن أيضا أن تساهم المواد الانسانية مساهمة بارزة فى انجاز هذا الهدف وذلك مثل التاريخ ، والأدب والفلسفة باعتبارها أوعية روحية لتجارب حية ونماذج روحية عظيمة •

ويجب أن يعمل المنهج على تنمية جانب الفردية الاجتماعية • ويتحقق هذا من خلال ممارسة العلوم الطبيعية بما تسمح به من محاولات يقوم بهـا الطلاب فى المعامل تشبع ميولهم واهتماماتهم ، ومن خلال المواد الانسانية التى تؤكد دور المجتمع فى بناء الذات ، وكيف أن الفرد لايمكن أن يحيا بمعـزل عن

البيئة الثقافية التى يعيش فيها ، وواجهه نحو هذه البيئة • كما يمكن أن يتحقق من خلال الأنشطة المدرسية التى تذكى روح التنافس ، وتعمل على تأكيد الذات ، وبث روح التعاون بين التلاميذ •

ويجب أن يعمل المنهج على تحقيق الهدف الانسانى فيدخل ضمن محتوياته مادة التفاهم الدولى ، ويبرز من خلال العلوم الطبيعية عالمية العلم ، وكيف أن الحضارة الانسانية ليست من صنع شعب واحد ، وانما هى من صنع أمم عديدة وعلى مدى التاريخ • كما يمكن أن يبرز من خلال المواد الانسانية كالجغرافيا والفلسفة والتاريخ كيف أن الانسانية تقوم أساسا على مبادىء الحب والتفاهم والسلام •

وعندما ننظر لمحتوى المنهج كما تضمنه كتاب الله تعالى نجده قد شمل علوم الدنيا والدين معا • ذلك - على حد تعبير الغزالى - أن « مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا ، فالدنيا مزرعة للآخرة » (٣٤) •

« وطلب العلم فريضة على كل مسلم » كما أخبر الرسول بذلك • واذا كان القرآن الكريم قد جمع بين علوم الدين والدنيا فذلك لأن العلم هو سبيل الانسان الى الايمان والعمل ، سبيل الانسان الى الاعداد للحياة الدنيا ، والاعداد لحياة الآخرة • ولقد دعا الله تعالى الى طلب العلم وحث على التزود به ، واعتبره محددا للمكانة ومعيارا للتفاضل بين الناس فيقول تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » ، ويقول تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، وقد وردت مادة « علم » ومشتقاتها فى القرآن الكريم فيما يزيد على ٨٠٠ آية •

وفروع المعرفة كلها متكاملة لأنها تهدف الى تحقيق التكامل فى الطبيعة

---

(٣٤) الغزالى ، احياء علوم الدين ، (جزء أول) طبعة أولى ، القاهرة ، المطبعة العثمانية المصرية ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م ، ص ١٢ •

الانسانية وتناقض فروع المعرفة يعنى احداث التنافس والاضطراب فى الطبيعة الانسانية لذا ماكان القرآن الكريم ليعادى أى لون من ألوان الفكر ، ولم يكن ليحارب أى أسلوب من أساليب المعرفة حتى فى مجال العقيدة نفسها « لااكراه فى الدين » • فقد أقر الاسلام حرية الرأى ، وقرر الجدال والمناقشة يقول تعالى: « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » ويقول تعالى : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى » •

ولقد حث الاسلام على النظر والتأمل ، ودعا الى البحث والمشاهده • ونعى بالكفار ، وعاب عليهم تقليدهم ، واهمالهم لمصادر المعرفة وطرائق التفكير فيقول تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليـل والنهـار لآيات لأولى الألباب » ويقول تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون »•

فالاسلام يشجع على البحث فى كل مجالات الحياة ، ويدعو للتزود بكل ألوان المعرفة من علوم دين وعلوم دنيا ، اذ هى تتضافر مجتمعه من أجل ترسيخ العقيدة ودعم الايمان باليقين • وبذا يقرب الانسان من ربه فتصفو روحه ، ويصدق ايمانه وعمله •

معنى هذا أن القرآن الكريم له منهجه التربوى الشامل وهو لاشك منهج واسع متعدد الفروع متنوع المواد • وقد حاول بعض رجال التربية الاسلامية أن يضعوا تصميمات مختلفة للمنهج اختلفت وفقا لاختلاف العصور والامكنة ووفقا لاختلاف الأطر الثقافية التى تضمها •

ومن هذه المحاولات محاولة الغزالى الذى صمم المنهج وفقا لفلسفته ، وهدفه الذى يبغى تحقيقه • وذلك أنه قسم العلوم الى قسمين فرض عين وفرض كفاية ، وذكر الغزالى ان الناس اختلفوا فى تحديد فرض العين حتى تجاوزوا عشرين فرقة • ويرى الغزالى أن علم فرض العين هو علم المعاملة وهو مايتصل بالاعتقاد والفعل والترك ، ولقد قسم علم الفرض الى قسمين علوم

شرعية وعلوم غير شرعية والعلوم غير الشرعية تنقسم الى محمود ، ومذموم ، ومباح • والمحمود هو مايرتبط بمصالح أمور الدنيا كالطب والحساب ، والمذموم هو علم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات ، والمباح هو العلم بالأشعار التى لاسخف فيها •

والعلوم الشرعية محمودة كلها ، وهى تشمل الأصول ، ويقصد بها القرآن والسنة والاجماع وآثار الصحابة ، والفروع وهى تشمل الفقه ، وعلى احوال القلب وأخلاقه والمقدمات وهى علوم اللغة والنحو ، والمتممات وهى العلوم المتصلة بعلم القرآن ، كعلم مخارج الحروف ، والقراءات ، والتفسير ، وأصول الفقه ، أما علم الآخرة فيقسمان علم مكاشفه وهو علم الباطن وهو غاية العارفين ، وعلم معاملة وهو علم احوال القلب ، أما الفلسفة فهى ليست علما برأسها ، بل هى أربعة اجزاء أحدها الهندسة ، والحساب ، وهما مباحان • والثانى المنطق وهو داخل فى علم الكلام والثالث الالهيات وهو داخل فى علم الكلام أيضا • والرابع الطبيعيات ، وبعضها مخالف للشرع (٣٥) •

والغزالى يرتب المنهج الدراسى كالآتى : المرتبة الأولى وهى العلوم الدينية والثانية وهى علوم اللغة ، والثالثة فروض الكفاية وهى الطب والحساب والصناعات ، والرابعة وهى العلوم الثقافية • وقد اهتم الغزالى فى منهجه بالعلوم الخلقية والدينية • كما اهتم بالعلوم الضرورية لحياة المجتمع ، كما أكد على النواحى الثقافية (٣٦) •

أما القابسى (٩٣٥ ـ ١٠١٢ م) فينظم المنهج على أساس نوعين من العلوم علوم اجبارية ، وهى القرآن وما يستلزمه معرفته من تعلم النحو

---

(٣٥) الغزالى ، احياء علوم الدين ، جزء (١) ، (مرجع سابق) ص ص ١٣ ـ ٢٠ •

(٣٦) فتحية سليمان « التربية عند الغزالى » أبو حامد الغزالى فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاده . مهرجان الغزالى فى دمشق ، مارس ١٩٦١ م ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . ص ٧٨٥ •

والعربية والخط ، واختيارية وهى تشمل الحساب والشعر وأيام العرب واخبارها وجمع النحو والعربية (٣٧) ٠

وابن خلدون بعد أن يقرر أن العلم والتعليم طبيعى فى العمران البشرى يتحدث عن أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد ٠ فيذكر أنها صنفان صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه ٠ والأول هو العلوم الحكيمة الفلسفية ٠ والثانى هو العلوم النقلية الوضعية ٠ وهى كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعى (٣٨) ٠

ويتحدث Elmer Wilds عن منهج المدارس الاسلامية فيقول لقد كان المنهج أعظم تكاملا ، وأعظم تنظيما من أى منهج آخر سواء أكان فى العصور القديمة أم فى العصور الوسطى ٠

وفى المرحلة الأولى كان المنهج يتكون من القراءة والكتابة والحساب والدين والقواعد والعلوم الأولية ٠ وفى المراحل العالية كان يتكون من الجبر والهندسة والطبيعة والكيمياء والجغرافيا وعلم الفلك والطب والصيدلية وعلم اللغة والتاريخ والأدب والمنطق والميتافيزيقا ، وغير ذلك من العلوم ولم يقف منهج التربية الاسلامية عند حد احتواء المواد الكثيرة ، بل شمل أيضا معالجة كل مادة معالجة مستفيضة (٣٩) ٠

ويقول د٠ برنال : وللاسلام نظرة أقرب الى المادية من نظرة الفلسفة اليونانية فالذى يحظى بأكبر اجلال هو التاجر الأمين ، وليس الزارع ، ولا المحارب ، ولا الكاهن ، ولا الفيلسوف ٠ وقد أقبل العرب على الآثار الاغريقية

---

(٣٧) أحمد الأهوانى ، التربية فى الاسلام (مرجع سابق) ص ١٤٤ - ١٤٨ ٠

(٣٨) ابن خلدون ، المقدمة ، (مرجع سابق) ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ٠

(٣٩) Wilds, E. H., The Foundations of Education (op. cit.) PP. 197 - 198.

والفارسية والهندية واستخلصوا مافيها من معرفة نظرية ، ولكنهم أولوا عنايتهم كذلك للدراسات المتصلة بالحرف التجارية وخاصة العقاقير الطبية ، وأشغال المعادن ، وكانت السيمياء حافزا قويا لدراسة الكيمياء (٤٠) ٠

وقد حاول اخوان الصفا أن يضعوا منهجا يتفق مع أهدافهم وفلسفتهم فوضعوا (٥١) رسالة وقسموها الى أربعة أنواع : ١٣ رسالة فى المنطق ، ١٧ رسالة فى العلوم الطبيعية ، ١٠ رسائل فى الميتافيزيقا ، ١١ رسالة فى علم الدين ٠ وتمثل هذه الرسائل أجود أنواع الفكر الذى ظهر قديما ، وفى العصور الوسطى ذلك أنه عالج المادة والروح ، وحاول التوفيق بين العقل والوحى ٠ وبين للانسان مكانه فى الكون ، وواجبه وقدره ، كما أنه يحاول أن يؤسس التربية الواعية التى تدعو لحياة حرة هادئة ٠

فكان اخوان الصفا يمثلون جمعية علمية بكل ماتحمل هذه الكلمة من معنى ولقد تناول أعضاؤها فى رسائلهم جميع معارف عصرهم ، وكانت معالجتهم للموضوعات تقوم على أسس علمية ، من حيث الحقائق وترتيبها واستقراء النتائج ، وبحث الماهية والترتيب (٤١) ٠

وحقا كان لاخوان الصفا فلسفتهم ، كما كان لهم نشاطهم العلمى الواضح، رغم ميولهم السياسية ، وتفسيراتهم الغامضة لمفاهيم الدين وشرائعه ٠ ويمكن القول أن منهج التربية الاسلامية فى تصميماته المختلفة التى تأثرت بعوامل الزمان والمكان كان يغلب عليه الطابع الدينى ، والخلقى ، والانسانى ، وهذا لايعنى أن المنهج لم يكن ذا صبغة علمية تجريبية ، فقد كانت العلوم التجريبية تختص بجانب كبير من المنهج أيضا ٠ مما يؤكد وجود الصلة القوية بين العلوم التجريبية والنظرية ٠ وهذا يتلاءم تماما مع منطق الاسلام ودعوته ٠

---

(٤٠) د٠ برنال (ترجمة ابراهيم حلمى عبد الرحمن) ، رسالة العلم الاجتماعية ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٩ م ، ص ٣١ ٠

(٤١) عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه (طبعة ثانية) ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ م ، ص ٨١ ٠

طريقـــة التدريس :

لكى تؤدى الطريقة وظيفتها بنجاح فلابد أن تقوم على مبادىء عامة من أهمها مايأتى :

١ - وجود الدافع وتجدده : وقد أكدت الأبحاث النفسية أهمية الدافع فى عملية التعلم • فالتلميذ يقبل على تعلم الشىء الذى يتصل بميوله واهتماماته ومتى افتقد الدافع صارت عملية التعلم عملية منفرة تدعو للملل والضيق والانصراف عن متابعة الدراسة • ولعل هذا مما تأخذه التربية التقدمية على التربية التقليدية اذ عنيت بحشو ذهن التلميذ بالمعلومات المختلفة ، دون مراعاة اهتماماته وميوله • ودافعية التعلم والتجديد فيه • وفى ضـوء الفكر الاسلامى فان دافعية التعليم تحدث من كون المسلم حريصا على تفهم أمور دينه ، بحيث يكون قريبا من الله تعالى خاضعا لـــه • يقول تعالى«قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم»• فحب الله هو الدافع الى الاتباع ، وهو ليس بالاتباع الأعمى • وانما هو الاتباع القائم على الوعى والفهم •

واذا كان الحب هو الدافع الى التعلم فى أسمى صوره ، فـــان الترغيب والترهيب يعد مظهرا آخـر لوجود الدافع • فالمؤمن يرجو الجنة ويخشى النار وعلى هذا فان الفكر الاسلامى ينمى فى التلميذ وجود الدافع ويحرص على تجدده• عند ذلك يحدث التعلم والتفهم لأمور الدين فيقبل المؤمن على طاعة الله لا خوفا من عقابه أو طمعا فى جنته ، ولكن من أجل حبه والشوق للقياه •

٢ - التكرار والممارسة : من المبادىء التى تقوم عليها طريقة التدريس الحديثة التكرار والممارسة • والتكرار هنا لا يعنى مجرد العادة ، ولكنه التكرار الذى يحدث معه التجدد والنمو المطرد ، واعادة بناء الخبرات السابقة ، من أجل الوصول لخبرات جديدة ، والممارسة تعنى التعديل فى السـلوك والتطوير فيه(٤٢)•ويتضح هذا فى التربية الاسلامية من ممارسة العبادات

---

(٤٢) أحمد زكى صالح ، الأسس النفسية للتعليم الثانوى ، القـاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ م ، (الباب الثالث) •

فممارسة الصلاة تؤدى الى تعديل فى السلوك وهو الكف عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وممارسة الصوم تؤدى الى صفاء النفس ونقاء الروح ولذا يقول الحديث القدسى « ان من عبادى من ليس له من صومه الا الجوع والعطش » • من هنا فان التكرار والممارسة يمثل دعامة من الدعائم التى تقوم عليها طريقة التدريس فى التربية الاسلامية •

٣ - انتقال أثر التدريب : تؤكد الدراسات النفسية على أهمية انتقال أثر التدريب فى عملية التعليم ، بمعنى تكامل الخبرات واعادة تكوينها • فتفيد الخبرات اللاحقة من الخبرات السابقة ، كما تمهد التالية لها • فالتلميذ يعدل من سلوكه فى ضوء خبراته السابقة ، كما يقيم معلوماته على أساس مما حصله من معارف من قبل •

وعملية التعليم فى الاسلام عملية متكاملة يسلم بعضها الى البعض الآخر فالعبادات ينتقل أثر التدريب فيها الى الحياة فى شتى صورها • كما ان المعارف والعلوم يفيد بعضها من بعض • لذا فان الفكر الاسلامى يقرر هذا المبدأ من منظور منطقه وواقعيته •

٤ - الحرية : وهى مبدأ أساسى فى عملية التعليم ، وحين يقال الحرية ، فانه يقصد بها الحرية المنظمة البناءة ، لا مجرد الفوضى والاهمال فطريقة التدريس حين تقوم على احترام الرأى ، وحرية البحث والمناقشة ، وانما تؤدى الى فوائد جليله ، حيث تساعد على بناء الانسان الديمقراطى الحر•

والقرآن الكريم ملىء بالآيات الكثيره التى تؤكد حرية الرأى واحترام رأى الآخرين ، لقد أمر القرآن الكريم اسلوب الحجة والجدال والمناظرة وحثنا البحث والتأمل ، بعيدا عن أى تعصب أو ارهاب ، الأمر الذى يفضى الى الايمان العاقل ، والسلوك الواعى الرشيد •

ولقد تعرض بعض رجال التربية الاسلامية لبعض من هذه المبادىء ،

فالقابسى مثلا يقول بضرورة الحاجة الى اللعب من أجل تجديد النشاط ودرء الملل فيقول : « ينبغى أن يؤذن للطفل فى بعض الأوقات أن يلعب لعبا جميلا ليستريح اليـه من تعب الأدب ، ولا يكون فى لعبه ألم ولا تعب شديد ، فالرياضة تحفظ الصحة ، وتنفى الكسل ، وتطرد البلادة ، وتبعث النشاط وتذكى النفس» .

والغزالى يقول : « ينبغى أن يؤذن للطفل بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح من تعب المكتب ، ومنع الصبى من اللعب وارهاقه بالتعليم دائما يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منـه رأسـا » (٤٣) .

ولقد تعددت طرق التدريس واختلفت باختلاف المداخل ، فهناك طـرق التدريس القائمة على العناية بالمادة الدراسية فقط ، وهى تشمل طريقة الحفظ والاستظهار ، وطريقة التكرار ، وطريقة القياس ، وطريقة الحوار ،وطريقـة المحاضرات ، واذا كانت هذه الطرق تعنى بالمادة الدراسية فقط ، فذلك لانهـا تنطلق أساسا من النظرة الثنائية للطبيعة الانسانية ، وهى ان الانسان فى جوهره الحقيقى كائن عقلانى أو روحى فقط .

وهناك طرق التدريس القائمة على النشاط ، وهى تشمل طريقة المشروع ، وطريقة اللعب ، وطريقة حل المشكلات ، وطريقة الوحدات ، والطريقة المحورية.

والفكر الاسلامى من خلال منهجه التربوى ليضع فى الاعتبار كل المبادىء الاساسية السابقة التى ألمح الباحث اليها من قبل . ومن ثم يجمـع بين الطرق كلها ولا يفرق بينها ، ويرى أنها وان كانت متعددة الا أنها متكاملة ، ولم يكن ليتعارض بعضها مع البعض الآخر ، فلكل منها دورها ووظيفتها .

ـــ ومن الطرق التى أشار اليها القرآن الكريم طريقة التكرار التى تتضح فى السور المكية ذلك أنها تهدف الى تخليص النفوس من شوائب الشرك والوثنية ويمثل هذا الامر يحتاج الى تكرار متجدد . كما تتضح فى معالجة القرآن الكريم للبعث والقصص الذى ورد فى القرآن الكريم مرة .

---

(٤٢) أحمد نعلبى . تاريخ التربية الاسلامية (مرجع سابق) ص ٣٠٩ .

— ومن الطرق التى أشار اليها القرآن الكريم طريقة الحوار ، وهى تتضح فى الحوار الذى جرى بين نمرود وابراهيم عليه السلام ، يقول تعالى : « ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ...» (البقرة : ٢٥٨) .

— ومن الطرق أيضا طريقة القصة وهى تتضح فى قصص الانبياء والرسل مثل قصة يوسف ، وأيوب ، ويونس ، وموسى ، وابراهيم .

— ومن الطرق أيضا طريقة الترغيب ، والترهيب ، وقد وضحت هذه الطريقة فى مخاطبة الله تعالى للكفار حيث رغبهم فى الجنة ، وحذرهم من النار .

— ومن الطرق كذلك طريقة المثل ، يقول تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » وغير ذلك من الامثلة العديدة .

— ومن الطرق أيضا طريقة التأمل الذى يتبعه الفكر ، وهى تتضح فى تناول القرآن الكريم للمسلك الذى سلكه ابراهيم عليه السلام فى ايمانه ، حيث يقول تعالى « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين « الأنعام » « : ٧٥ — ٧٩ » .

— ومن الطرق طريقة الملاحظة والمشاهدة ، وهى تتضح فى مثل قوله تعالى: « ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

— ومنها طريقة الوعظ والارشاد وتتضح فى قوله تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم .. » (القصص ٧٦ — ٨٢) .

— ومنها طريقة اللوم والتأنيب ، وهى تتضح فى قوله تعالى : « يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك » .

ـــ وطريقة التدرج وهى تتضح فى تدرج الشرع فى تحريم الخمر ٠

ونود هنـا أن ننبه الى أن معالجة الاسلام لطريقة التدريس لايعنـى التقنين على النحو الذى تستهدفه البحوث التربوية ٠ وانما هى ومضـات واعيـة موجهة تتيح للجهد الانسانى أن يغير ويجدد بالشكل الذى يتلاءم مـع روح العصر وطبيعـة الحيـاة ٠

على أن من رجال التربية الاسلامية من تناول بشكل أو بآخر طريقـة التدريس ، ومنهم ابن خلدون الذى وضع عددا من القواعد يراها كفيلة لانجاح الطريقة ومنها : التدرج ، والتكرار ، واستخدام وسائل الايضاح ، وعدم الاتيان بالغايات فى البدايات ، وترابط حلقات الدرس ، وعدم وجود فواصل بين درس وآخر ، وعدم الخلط بين علمين معا ، وضرورة تدريس العلوم باللغة الاصلية ، وعدم اتباع العقاب فى التربية الا عند الضرورة (٤٤) ٠

كما ان ابن سينا قـد أشار لطريقة التدريس بالحفظ والاستظهار والممارسة واللعب والثواب والعقاب والقدوة الحسنة (٤٥) ٠

وآراء رجال التربية الاسلامية فى الطريقة هى مجرد اجتهادات فرديـة توصلوا اليها من خلال الممارسة الفعلية ، ومدى شعور كل منهم بنجاحه فى التدريس ، ولا يمكن القول بأنها تصدر عن فلسفة تربوية متكاملة وانما هى مجرد أفكار وليدة خبرة وممارسة ٠ واذا كان لها من قيمة فقيمتها أنها لاتخرج عمـا ينادى بـه علماء التربية اليوم ، وان كان يعوزها الترتيب والتنظيم والنظرة الموضوعية العامة المتكاملة ٠

---

(٤٤) ابن خلدون ، المقدمة (مرجع سابق) ، (فصل فى وجه الصواب فى تعليم العلوم ، وطرق افادته) ٠

(٤٥) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، الآراء التربوية فى كتابات ابن سينا (مرجع سابق) ، (الفصل الثانى) ٠

وبمعالجة الباحث لطريقة التدريس يصل الى نهاية البحث ، راجيا أن تكون صورة الفكر التربوى المنبثق عن الاسلام قد اتضحت نسبياً معالمها وتحددت أبعادها ، بالشكل الذى يمكن أن تتخذ أساسا لجهود أخرى ، وبحيث تهدف فى النهاية الى التنبيه على ضرورة الأخذ بالفكر الاسلامى فى التخطيط للعملية التربوية • فلسفة وهدفا ومنهجا وطريقة ، بما يتفق مع قيمنا ومثلنا التى تستمد أساسا من فكرنا الاسلامى الأصيـــل •

« خاتمـــــــــة »

عرض المؤلف لكل من الفكر الاسلامى ، والفكر الغربى ممثلا فى بعض فلسفاته • وأوضح رؤية كل منهما للطبيعة الانسانية ، وعرج على التربيـة المنبثقة عن هذه الرؤية ، ان هدفا أو منهجا أو طريقة – خص المؤلف من جوانب الطبيعة الانسانية ما يأتى : تكوين الانسان ، أثر الوراثة والبيئة ، الحريـة والجبرية ، الخير والشر ، الفردية والاجتماعية ، وأخيرا النوع • وقد خص هذه الجوانب بالذكر لما لها من دلالة تربوية • وقـد آثر المؤلف أن يستخدم لفظ الطبيعة الانسانية « بـدل » الطبيعة البشرية ، لما يوحى بـه الأخير من دلالة مادية جسدية قـد يغفل معها الجانب اللامادى فى الانسان •

وقد عرض المؤلف لبعض الفلسفات الغربية فاختص منها بالدراسة المثالية، والطبيعـة والماركسية والوجودية والبرجماتية ، وقد عرض لهـذه الفلسفـات باعتبارها تمثل رؤى مختلفة للطبيعة الانسانية ، وهى فى مجملها يمكن أن تقدم تصورا عاما لهذه الطبيعة فى الفكر الغربى • ولم يتناول المؤلف أيا من هذه الفلسفات بالتحليل الدقيق ، بل بابراز المعالم الاساسية لكل فلسفة بالشكل الذى يمكن معه أن يقدم منظورا عاما ، من خلاله رؤية الطبيعة الانسانية فى جوانبهـا المتعـددة •

وقـد بدأ المؤلف بالفلسفة المثالية ، وتناولها عبر عصورها المختلفة منـذ أفلاطون حتى العصر الحديث • وأوضح أن أهم سمة عرفت بها هذه الفلسفة هى فكرة الثنائية ، تلك التى تقوم على الفصل بين الجسم والروح • وقـد استتبع هذا الفصل بين الثابت والمتغير ، والمثل والواقع ، والجوهر والعرض، والنسبى والمطلق ، وغير ذلك من الثنائيات التى عرفت بها هذه الفلسفة • وهى ترى أن الانسان فى جوهره روح ، أما الجسم فهو عرض زائل متغير • والجسم بمثابة سجن للروح وبقدر ما يحارب الانسان هذا الجسم بقدر ما يحقق ذاته ويؤكد ما هيته ، والمثالية ترى ان الروح خيرة أما الجسم فهو سبب الخطيئة

والفساد • وتذكر هذه الفلسفة أن الطبيعة الانسانية تتأثر بكل من الوراثة والبيئة فى السلوك والتعلم فعملية التعلم ان هى الا عملية تذكر واسترجاع ومعارف قبلية • كما أن البيئة هى التى تقنن سلوك الانسان وهى التى توجب عليه أن يلتزم بنظمها • وترى هذه الفلسفة أن الطبيعة الانسانية ليست مخيرة أو حرة فيما تفعل ، وانما هى محكومة بقيود الجسد وضوابط المجتمع • وأشار المؤلف الى أن المثالية كانت فى فترات زمنية غير قليلة تبريرا للابقاء على نظم تقليدية جامدة ، كما كانت تحارب أية محاولات تجديدية ايمانا بالثابت المطلق ، وانكارا للمتغير النسبى • كذا أيضا فان المثالية كانت تقول بخاصة الاجتماعية فى الطبيعة الانسانية • وهذا ما يتضح فى موقف أفلاطون الذى اتخذ من تقسيم النفس أساسا لتقسيم المجتمع ، والذى حاول أن يجعل من النفس الفردية صورة مصغرة للمجتمع الاكبر ويتضح هذا فى موقف أرسطو ، وهيجل ، فقد قال « هيجل » بالروح المطلق • ومن حيث النوع فان المثالية كانت تؤثر الذكر على الأنثى وتفضله عليها •

وتناول المؤلف الفلسفة الطبيعية ، وأشار للظروف التاريخية التى صاحبت نشأتها • وبين أنها كانت صيحة فى وجه الفلسفات التقليدية السائدة أعلنها « روسو » رائد هذه الفلسفة • كما أوضح المؤلف الدلالات المختلفة للفظ « الطبيعة » وتناول المعالم الاساسية لهذه الفلسفة • ثم من خلال هذا كله انتقل المؤلف الى الحديث عن موقف هذه الفلسفة من الطبيعة الانسانية • وقد ذكرت هذه الفلسفة أن الانسان خير بالطبع وأن البيئة هى التى تفسده وتؤثر فيه تأثيرا ضارا • كما ذكرت أن الانسان حر بطبعه ، مستقل فى ذاته ، ولاينبغى أن يفقد ذاته من أجل هذا المجتمع المصطنع وهذه الفلسفة تفضل الذكر على الأنثى ، وتذكر أن المرأة دون الرجل وأنها خلقت أساسا من أجل أن تكون خادمة له •

ثم تحدث المؤلف عن الماركسية ، وذكر أن هذه الفلسفة تقوم أساسا على مبدأ المادة وفى ضوء هذا المبدأ تقيم كل قوانينها وتفسيراتها ، فالمادة هى أصل

كل الكائنات الجامد منها والحى • وما الكائن الحى الا مرحلة تطورية لحركة المادة الجدلية وتنادى الماركسية من خلال مبدأ المادة - بفكرتين جوهريتين هما المادية الجدلية بقوانينها الثلاثة ، قانون تداخل الأضداد ، وقانون التحول من الكم الى الكيف ، وقانون نفى النفى ، ثم المادية التاريخية التى تفسر بها الماركسية حركة التاريخ الديالكتيكية ، وتطور المجتمع الانسانى ولأنها تقوم أساسا على مبدأ المادة فانها تفسر الطبيعة الانسانية تفسيرا ماديا ، فالانسان فى جوهره مادة • وما يسمى بالمظاهر الشعورية أو العقلية أو الروحية ان هى الا دلالات تطورية راقية لحركة المادة • فالانسان شأنه شأن أى كائن طبيعى ،

يخضع لما تخضع له الطبيعة من قوانين ومبادىء • وعلى هذا فان الطبيعة الانسانية لايمكن أن تتحدد بالوراثة ، ولايمكن أن يكون للوراثة أثر فى تحديد أبعاد الطبيعة الانسانية ، لكن البيئة هى التى تملك تأثيرا قويا ، فهى التى تحدد مجال العمل ، وهى التى تستثير الطاقات الكامنة وتستغل القدرات المختلفة التى زود بها الجسم ، وبقدر ماتكون البيئة دافعة على العمل باعثة عليه بقدر مايكون تأثيرها قويا • وفى ضوء هذه الفلسفة لايمكن القول بأن الطبيعة الانسانية خيرة أو شريرة ، لأنها مجموعة من الامكانات والقدرات التى ان استغلت وساهمت فى الانتاج أصبحت خيرة ، وان لم تستغل وتوظف أصبحت شريرة • فالعمل المنتج هو المعيار الحقيقى لوصف الطبيعة الانسانية بأنها خيرة أو شريرة • كذا أيضا فان الطبيعة الانسانية لايمكن وصفها بأنها مخيرة ، بل هى مسيرة تخضع لما تخضع له الكائنات الأخرى من قوانين علمية وحتمية جدلية • والطبيعة الانسانية ذات طابع اجتماعى ، فلا مكان للذات الفردية فى هذه الفلسفة • وحياة الفرد رهن بحياة المجتمع يعيش به وله ، ومن حيث النوع فان الماركسية لاتفرق بين الذكر والأنثى فكلاهما طاقة مسهمة فى العمل المنتج • واذا كان ثمة فرق بينهما قال به الماضى فان هذا الفرق يعزى أساسا الى مدى القدرة على المساهمة فى الانتاج • فالأنثى كانت دون الذكر فى الماضى لأنها كانت دونه فى بذل الجهد والمساهمة فى الانتاج •

وتحدث المؤلف عن الوجودية ، وأوضح أنها كانت ثورة فكرية على استبعاد

المادة واستبداد العقلانية ، تلك التى أصبح معها الانسان مجرد ترس فى آلـــة كبرى يخضع لحركتها ويسير وفق نظامها • لقد كانت الوجودية ثورة غاضبة على كل اتجاه يفقد الذات حريتها ، ويسلبها وعيها باسم الحتمية العلميه أو المنطقة العقلانية • الوجودية هى عودة بالذات الى وعيها • وهى دعوة لها كى تسترد حريتها التى سلبت منها باسم النظم الاجتماعية • لقد ثارت على كل الفلسفات التقليدية التى قررت أن الماهية تسبق الوجودية تسبق الوجود ، وقررت العكس فقالت ان الوجود هو الذى يسبق الماهية • ذلك أن وجود الانسان مجرد مشروع ومواقف عليه أن يجتازها وبقدر ماينجح فى اجتيازها بقدر مايحقق ماهيته • واذا كان الوجود يسبق الماهية فان تأكيد الذات وتحقيق الوعى لايمكن أن يتم دون حرية مطلقة ، فالانسان لاشىء غير مايصنعه بنفسه ، ومايصنعه لابد وان يقوم على الاختيار وهذا الاختيار جوهره الحرية المطلقة • لقد وجد الوجوديون فى ضوابط المجتمع ونظمه مايحد من حرية الفرد ، ويسلبه قدرا من ارادته • ان حرية الانسان امكانية بحته ، ولاتوجد اية حتمية تحد من هذه الحرية •

ومن منظور هذه الفلسفة فان الطبيعة الانسانية تعنى من حيث تكوينهـا الشعور الواعى ، أما الجسم فهو سلاح الذات فى صراعها مع الواقع • وهى ان كانت تتاثر بالبيئة فان هذا التأثير يكون سلبيا وضارا • وهى ذات حرة ، كما أنها فردية ، ترى فى المجتمع مايحد من حريتها واختيارها • وهى واحدة فى النوع فما يبدو من فروق بين الذكر والأنثى فانه يعزى الى المفاهيم الثقافية الخاطئة التى سادت فى الماضى •

واختتم المؤلف الفلسفات الغربية بالبرجماتية ، فعرض لملابساتها التاريخية وظروفها التى كانت سببا فى ظهورها ، وتناول ثلاثة من أبرز مؤسسيها ، وهم : « بيرس » و « وليم جيمس » و « جون ديوى » • وعرض لمعالمها الأساسية ، فذكر أنها تقوم على التغير والنمو، فالتغير هو جوهر الحياة الحقيقى • ومحور تطورها والتغير لايختص بمجال دون آخر ، وانما يشمل كل مجالات الحياه • واذا كانت هذه الفلسفة تقوم على التغير فانها تتخذ من الفلسفة أسلوب حياة ، وهى بهـذا

تعيد للفلسفة وظيفتها الحقيقية • فالفلسفة ليست تأملا نظريا تجريديا ، وانما هى ممارسة واعية حكيمة للواقع ، ولأنها ممارسة للواقع فهى تقوم على الخبرة ، وعن طريق الخبرة يكون الربط مابين الفكر والعمل ، والرمز والمعنى • والفرد والمجتمع وحتى تحقق الخبرة الغاية منها فهى لابد وأن تكون خبرة مربية مثمرة داعية الى التجديد والتطور • وهذا لايتأتى الا بممارسة الاسلوب العلمى والاسلوب العلمى يفيد فى تحديد الأهداف ، والتعرف على طبيعتها ، وخصائصها ، ومدى صلتها بالوسائل •

وفى ضوء هذا ترى البرجماتية أن الطبيعة الانسانية متكاملة التكوين لاينعزل فيها الجسم عن الروح ، كما ترى أن الانسان يتأثر بكل من الوراثة والبيئة وعلاقة الوراثة بالبيئة هى علاقة داخل الانسان بخارجه • ومن خلال التفاعل مابين داخل الانسان وخارجه يتحقق النمو المطرد • كذا أيضا فان الطبيعة الانسانية ليست خيرة أو شريره ، وانما هى طاقة يتحدد مكانها من الخير أو الشر حسب السلوك الذى تمارسه ، ومدى قرب هذا السلوك أو بعده من روح التفكير العلمى الناقد • والطبيعة الانسانية حرة ، والحرية هنا لاتعنى الفوضى ، ولكنها تعنى الحرية المنظمة • ومع أن الطبيعة الانسانية حرة الا أن حريتها ليست على حساب الكيان الاجتماعى ، ذلك أن وجود الفرد يستمد من وجود المجتمع ، وحرية الفرد لاتتحقق الا من خلال حرية المجتمع ، ولذا تقرر هذه الفلسفة الأخذ بالأسلوب الديمقراطى الذى يوفر للذات الفردية كيانها المتكامل • والطبيعة الانسانية لاتتفاوت فى النوع ، فالذكر كالأنثى ، واذا كان ثمة اختلاف شكلى أكثر منه اختلاف حقيقى •

وفى الفصل الثالث عرض المؤلف لأنواع التربية المنبثقة عن هذه الفلسفات والتزم الباحث فى معالجة هذه الأنواع بدراسة الهدف والمنهج والطريقة • وذكر أن تربية الطبيعة الانسانية فى ضوء المثالية تنبثق أساسا من فكرة الثنائية التى تقوم عليها هذه الفلسفة • فمن حيث الهدف فان التربية المثالية تسعى الى العمل على صقل العقل ، ومعاونة الروح على الخلاص من عالم الجسد ، حتى تعود

لنقائها وطهرها ، وتكون قادرة على الرجوع لعالم المثل • فالجسد هو سجن للروح وقيد لها وهو مصدر الشرور والخطايا وترى المثالية أن محتوى المنهج الكفيل بتحقيق هذا الهدف يتمثل فى العلوم الرياضية والدينية والانسانية ، وكل ما من شأنه أن يعمل على صقل العقل وتهذيبه ، وتصفية الروح وتنقيتها • أما طريق التدريس الملائمة فترى المثالية أنها الطريقة القائمة على الحفظ والاستظهار والتكرار والالقاء والحوار •

واذا كان هذا هو شأن التربية المثالية ، فان الفلسفة الطبيعية تعطى للتربية شكلا آخر ، فمن حيث الهدف فان التربية الطبيعية تعمل على اشباع حاجات الفرد ، والحفاظ على الحرية التى منحتها اياه الطبيعة • ومن أجل هذا ينبغى أن تعمل التربية على عزل الفرد عن المجتمع الذى يعيش فيه لأن المجتمع فاسد ، وحياة الفرد فى المجتمع يعنى تعريضه للفساد واستسلاب الحرية منه • ولقد وضعت الطبيعة منهجا يتلاءم ومراحل النمو المختلفة التى يمر بها الفرد ، ففى احدى المراحل تكون التربية سلبية ، وهى تعمل على العودة بالطفل الى العالم الحقيقى ، عالم الطبيعة ، كما تحرص على أن تدمجه بهذا العالم • وكلما تقدم العمر بالطفل ونمت مداركه كلما ارتقى مستوى المنهج وزاد حظه من المعارف والعلوم ، بالشكل الذى يربط الانسان بعالم الطبيعة ويمكنه من صنع عالم نظيف بعيد عن شرور المجتمع المصطنع وخطاياه وكى يتحقق هذا ، فان طريقة التدريس ينبغى أن تقوم على الممارسة الحية والنشاط •

وبالنسبة للماركسية فان التربية تقوم اساسا على النظرة المادية للانسان والحياة • وهدف التربية على هذا الأساس هو اعداد المواطن القادر على المساهمة والانتاج • وترى الماركسية أن المنهج الذى يمكن معه تحقيق هذا الهدف هو المنهج الذى يتخذ من العمل محورا له • وهذا ماتضعه التربية الماركسية فى الاعتبار فى شتى أنواع التعليم سواء أكان تعليما عاما أم تعليما بوليتكنيكيا • ومن حيث طريقة التدريس فانها تتوزع مابين طريقة المشروع ، والطريقة المركبة ، وطريقة الحفظ والاستظهار •

واذا كانت التربية الماركسية قد غالت فى النظرة المادية ، فان التربية الوجودية قد قامت على النقيض منها ، اذ هى تهدف الى خلق الذات الحـــرة الواعية المسئولة • وهذا الهدف يلائمه منهج يقوم أساسا على الدراسات الانسانية كالتاريخ والجغرافيا والأدب • وحتى فى دراسة العلوم الطبيعية فانه ينبغى أن يراعى فيها الجانب الانسانى الذى يؤكد قدرة الانسان ويوضح عظمة الذات وطريقة التدريس الملائمة لتحقيق هذا الهدف ، هى تلك التى تقوم عـلى النقاش الحر ، والحوار البناء ، والقدوة الحسنة •

أما التربية البرجماتية فهى تحاول أن تقف موقفا وسطا مابين الافراط فى النظرة المادية ومابين المغالاة فى النظرة الذاتية الشعورية • وتحدد البرجماتية الهدف التربوى بأنه العمل على خلق الذات الواعية القادرة على تحقيق التفـاعل والتكيف مع البيئة الاجتماعية بما يكفل تحقيق النمو المطرد • ومنهج هـذه التربية يعنى بكل الدراسات العلمية والانسانية ، كما يعنى بالوان النشاط الجمالى ذلك لأن الشخصية متكاملة ، وتكاملها يوجب أن يكون المنهج متنوعـا بالقدر الذى يتحقق معه تكامل الطبيعة الانسانية • وطريقة التدريس التى تتناسب وهذا الهدف هى طريقة النشاط الهادف •

بعد هذا انتقل المؤلف الى الفصل الرابع وتناول فيه الفكر الاسلامى وبين فيه هذا الفكر من الطبيعة الانسانية ، فذكر أن الدين ضرورة اجتماعية يمليها منطق الفطرة • كما بين أن الاسلام دين شمولى عـام صالح لكل زمان ومكان • وعرض المؤلف لمحتوى الاسلام وأوضح أنه يتضمن جزئين أساسيين هما الايمان والعمل • والعمل يشمل العبادات والمعاملات • كما تناول قضية التغير وبين كيف أن الاسلام يحتوى كل تغير ويوجهه بالشكل الذى يتحقق معه النمو المطرد • وبين أن الاسلام لايقر التغير فى كل الجوانب فهناك جانب ثابت لا مجال فيـه للتغير ، وهو جانب العبادات والميراث والحدود • كما تناول المؤلف قضية التفكير والاسلام ، وذكر أن لاسلام يقوم أساسا على التفكير ان فى جانبه العقيدى أم فى جانبه التشريعى • فالاسلام لايقر التقليد الأعمى ، ولا الاتباع الجامد • وبين

أيضا أن الفكر الاسلامى يهدف فى النهاية الى تحقيق السعادة لكل من الفـرد والمجتمـــع ٠

وعرض المؤلف لرؤية الاسلام للطبيعة الانسانية ، فذكر أن الاسلام يقـرر خلافة الانسان فى الأرض ٠ ويعرض لمفهوم الطبيعة الانسانية من خلال التعبير القرآنى ٠ ويتناول ألفاظ الانسان والنفس والروح والبشر والانس ٠ ومن خلال هذا التناول يمكن الوقوف على أبعاد الطبيعة الانسانية ٠ ثم ينتقل الى الحديث عن أبعاد هذه الطبيعة فيتحدث عن تكوين الانسان ، ويوضح أن الاسلام يقـر التكامل بين الجسم والروح ، ويؤكد أنه لايمكن لاحدهما أن يستقل عن الآخر ٠

كما يعرض لآراء الفلاسفة والمفكرين مثل الكندى والفارابى وابن سينا واخوان الصفا والغزالى وابن رشد والرازى ومحمد عبده والعقاد ٠ وتحدث عـن قضية الوراثة والبيئة ، وأوضح أن الاسلام يقر أثر كل من الوراثة والبيئة ٠ كما تناول قضية الخير والشر فى الطبيعة الانسانية ، وأوضح أن الاسلام يقول بالطبيعة المحايدة ذلك أن الله تعالى قد دل الانسان على سبيل الهداية وسبيل الغواية ، وزوده بالقدرة والتفكير ، وتركه بعد ذلك ليحدد سلوكه أن خيرا أو شرا ٠

كما تناول قضية الجبر والاختيار ، وبين أن الاسلام يقر الحرية لأنهـــا أساس التكليف والمسئولية ، وان كان يقر القضاء والقدر أيضا ٠ وتناول موقف الاسلام بين الفردية والاجتماعية فى الطبيعة الانسانية ، فذكر أن الاسلام يقـــر الفردية كما يقر الاجتماعية ، فالذات تتحقق من خلال الجماعة تستمد وجودها من خلال الفرد ٠ وتحدث عن النوع ، فذكر أن الاسلام لايفرق بين الذكر والأنثى فى الحقوق والواجبات ، وان كان يغاير بينهما على أساس من اختلاف القدرات وتنوع العمل ٠

وفى الفصل الخامس تناول المؤلف تربية الطبيعة الانسانية فى ضوء الفكر الاسلامى فعرض للركائز التى تقوم عليها هذه التربية ، ومنها التكامل ، والتفكير ، والخبرة ، والحرية ، والانسانية ، والتذوق ٠ كما تناول الاهداف التربوية ،

تعرف بخصائصها ، وهى الوضوح والتكامل وقابلية التحقق والمرونة والعمومية وشرعية الوسائل والانسانية • وتناول أنواع الأهداف ، وذكر أنها تتوزع مابين أهداف جسمية ، وأهداف عقلية ، وأهداف روحية ، وأهداف خلقية ، وأهداف فردية اجتماعية ، وأهداف انسانية ، ثم تحدث عن المنهج فتناول أسسه الفلسفية والنفسية ، وبين أن القرآن الكريم هو المصدر الحقيقى للمنهج فى جانبيه الفكرى والنشاطى • وتعرض المؤلف لواقع المنهج من خلال تنظيم الغزالى والقابسى واخوان الصفا • وانتهى أخيرا الى طريقة التدريس ، وبين أن القرآن الكريم عرض لأكثر من طريقة عرضا عاما ، وليس بالصورة التى يعرض لها علماء المناهج وطرق التدريس • وانما اكتفى القرآن الكريم بالماحات عامة تتيح للخبرات الانسانية الكثير من المرونة والطواعية وفقا لظروف كل عصر ومقتضيات كل جيل •

* موازنـــــة :

بعد أن عرض المؤلف لكل من الفكر الغربى الاسلامى ، ورؤية كل منهما للطبيعة الانسانية ، وتصوره لتربية هذه الطبيعة - يهمه أن يوازن بينهما من حيث الآتى :

(أ) الطبيعة الانسانية فى ضـــوء الفكريين :

اختلفت الفلسفات الغربية فى نظرتها لتكوين هذه الطبيعة ، ويعزى هـذا الاختلاف ، الى اختلاف الظروف الثقافية التى صاحبت نشأة كل فلسفة من هذه الفلسفات ، فالمثالية قالت بالثنائية ، وفصلت مابين الجسم والروح • وعـــدت الروح جوهرا ، والجسم عرضا ، ومن ثم فقد أعلت من شأن الروح وحقـرت من شأن الجسد والطبيعية غلبت جانب الجسد على جانب الروح ، ودعت الفرد الى أن يستجيب لرغباته الطبيعية ، وأن يعمل على اشباعها ، أما النظم الخاصة التى تعمل على كبت هذه الرغبات بحجة الارتقاء بمستوى الروح فانها تتعارض مـع نداء الطبيعة وتخلقها • والماركسية قالت بالمادية البحتة فالانسان فى جوهره مادة ، وهى جزء لايتجزأ من الكون الأكبر وهو الطبيعة ، وبالتالى لاتعترف بما تخضع له الكائنات الطبيعية الأخرى من قوانين وحتمية ، وما الظاهر

الشعورية والعقلية الا مظاهر تطورية لحركة المادة الجدلية • والوجودية تغلب جانب الوعى والشعور على جانب الجسد ، والجسد هو مجرد أداة تستخدمها الذات فى صراعها مع الحياة ومع الآخرين من حولها • أما البرجماتية فتقول بالتكامل بين الجانبين المادى واللامادى ، وان كانت تؤثر النظرة المادية وتعدها المحك فى الوقوف على الحقيقة ، اذ هى تولى عناية كبيرة لرغبات الفرد وميوله الجسدية •

أما الفكر الاسلامى فقد قال بالتكامل بين جانبى هذه الطبيعة الجسمى واللاجسمى فالانسان لايمكن أن يعيش بروحه فقط أو بجسمه وحده ، وانما هو يعيش بهما معا جسمه وروحه واذا كان الاسلام يؤكد كثيرا على جانب الروح فذلك حتى يحفظ التوازن بين رغبات الجسم الطاغية وتطلعات الروح نحو عالم الخلود والأزلية • والتكامل بين الجسم والروح ضرورى على مستوى العقيدة وعلى مستوى الشريعة • فالايمان يقوم على الفكر ، والفكر يتخذ من الحواس مصادر للمعرفة « ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين » والتشريع يهدف الى تقنين السلوك والممارسات المختلفة • وهذا يتأتى من خلال النشاط ومن خلال السلوك الجسمانى • اذا فالتكامل ضرورى ضرورة الدين نفسه •

وبالنسبة لجانب الأثر الوراثى فى الطبيعة الانسانية • فقد اتضح أن الفلسفات الغربية تختلف فيما بينها اختلافا بينا . فالمثالية تقول بالاثر الوراثى، والانسان يولد مزودا بقدر من الغرائز التى تحدد سلوكه مسبقا ، كما أنه يولد وهو مزود بقدر من المعلومات الكامنة ، وعملية التعلم ان هى الا عملية استرجاع وتذكر فهذاك المعارف القلبية التى توجد بالفطرة والبيئة ذات أثر محدود فى تغيير الطبيعة الانسانية وتعديل سلوكها ، ومن هنا كانت المثالية فى بعض العصور تبريرا للتفاوت الطبقى القائم على أساس الجنس أو العصبية •

والطبيعية أغفلت أثر البيئة • وقالت أن البيئة ذات أثر ضار فكل شىء حسن طالما كان فى يد الطبيعة • فالوراثة هى ذات الأثر الواضح فى سلوك الانسان

وممارسته • وعندما يستجيب الانسان لغرائزه الموروثة فانه يكون منسجما مع منطق الطبيعة السليم •

أما الماركسية فهي تلغى أثر الوراثة تماما ولاتعترف بشيء اسمه الاستعدادات أو الغرائز • فالطبيعة الانسانية هي مجرد كتلة مادية تتحرك كما يتحرك أى كائن مادى • ومايسمى بالاستعدادات والغرائز انما هو من رواسب الفكر الطبقى ومخلفات المجتمع الاقطاعى والرأسمالى • فالبيئة هى التى تحدد الاتجاهات والمجالات •

والوجودية تقول بالأثر السلبى للبيئة ، فالبيئة تمثل العقبة الكبرى التى تعترض حرية الانسان وتعوقه عن الانطلاق واذا كان للوراثة من أثر فأثرها يتضح فى أن الانسان ولد حرا لايملك الا الوعى والشعور ومن ثم فعليه تقع مسئولية الاختيار وبنـاء ماهيته •

والبرجماتية تقول بالتفاعل بين جانبى الوراثة والبيئة أو بين داخل الانسان وخارجه ، وان كانت تغلب أثر البيئة على أثر الوراثة •

أما الفكر الاسلامى فهو يؤكد أثر كل من الوراثة والبيئة • فهناك قـدر من الاستعدادات والقدرات الموروثة ، وهذه لاتنشط الا من خلال البيئة • ولقد عنى الاسلام بالبيئة وجعلها ذات أثر تعديلى للاستعدادات الوراثية •

وبالنسبة للحرية والجبرية فان الفلسفات الغربية قد اختلفت فيما بينها ، فالمثالية لاتتيح قدرا كبيرا من الحرية ، وكثيرا ماكانت المثالية تبريرا لأوضاع جامدة ونظم اجتماعية تزول معها كل حرية واختيار • والطبيعة نادت بالحرية المطلقة وحاربت كل مامن شأنه أن يحد من حرية الانسان وارادته • والماركسية قالت بالحتمية المطلقة التى لامجال فيها للارادة والرغبة • فالانسان خاضع لقوانين التطور التى تحكم تطور المادة • والوجودية قالت بالحرية التامة واعتبرت الحرية الجوهر الحقيقى للانسان • والبرجماتية قالت بالحرية ، ولكنها

الحرية المضبوطة المنظمة • وهى تجمع مابين الحرية والحتمية • أما الفكر الاسلامى فهو الحرية الانسانية فى كل ضروبها وصورها • ومسئولية التكليف هى مسئولية الاختيار الحر • واذا كان هناك من جبرية فهى تلك التى تتمثل فى القضاء والقدر تلك الحتمية التى لايدرك كنهها الا الله تعالى •

وبالنسبة للخير والشر فى الطبيعة الانسانية فان المثالية ترى أن الشر يكمن فى الجانب الجسدى ، أما الخير فهو يكمن فى الجانب الروحى • والطبيعية تقول بأن الانسان خير بطبعه واذا كان ثمة من شر فيها فسببه الأثر الضار للبيئة التى يعيش فيها • والماركسية تقول بالطبيعة المحايدة فليس هناك مايسمى بطبيعة خيرة أو شريرة وانما هناك العمل الذى يحدد نوع السلوك الخير أو الشرير • والوجودية لاتقول بالشر او الخير فى الطبيعة الانسانية وان كانت تغلب عليها نزعة التشاؤم واليأس ، والبرجماتية لاتقول بالخير او الشر فى الطبيعة الانسانية وانما تقول بالتفاعل • وبقدر ماتكون الخبرات مربية بقدر ماتكون الطبيعة الانسانية خيرة •

أما الفكر الاسلامى فانه لايقول بأن الانسان خير بالطبع أو شرير بالفطرة وانما يقول بالطبيعة المتناقضة التى تجمع مابين عناصر الخير والشر وتلك هى قصة الابتلاء فى القرآن الكريم •

وبالنسبة لجانب الفردية والاجتماعية فى الطبيعة الانسانية فان الفلسفات الغربية قد اختلفت فيما بينها ، فالمثالية غلبت جانب الجماعة على جانب الفرد وعدت الفرد صوره للجماعة ، والطبيعية غلبت جانب الفرد على جانب الجماعة ، وعدت المجتمع هو السبب فى فساد الطبيعة الانسانية والماركسية غلبت المجتمع على الفرد ، وعدت الفرد جزءا من آلة المجتمع الكبرى • والوجودية أغرقت من حرية الفرد • والبرجماتية ربطت بين ذات الفرد والجماعة ، فقالت بأن الفرد يستمد وجوده من الجماعة ، والجماعة تستمد وجودها من الفرد • أما الفكر الاسلامى فقال بالتكامل بين الفرد والمجتمع • وكما حرص على تأكيد ذات الفرد فانه حرص على تحقيق كيان المجتمع •

وبالنسبة لجانب النوع فقد اختلفت الفلسفات الغربية فى النظرة للأنثى فالمثالية حقرت من شان المراة ، ونظرت اليها على أنها مجرد خادم للرجل ، كما اعتبرتها المثالية المسيحية مصدرا للشرور والآثام • والطبيعية أيضا نظرت للمراة كخادم للرجل ، أما الماركسية فقالت بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة مادام كل منهما يمثل طاقة عاملة منتجة • والوجودية قالت أيضا بالمساواة بينهما ومايبدو من فروق فهو راجع الى موروثات الثقافة والبرجماتية قالت بالمساواة بينهما •

أما الفكر الاسلامى فقد وضع كل من الذكر والأنثى فى وضعه الحقيقى الذى يتحقق معه التكامل والانسجام والذى يتناسب مع مقتضيات الحياة وضرورة توزيع العمل وتنوعه •

هذا عن موقف كل من الفكريين الاسلامى والغربى من الطبيعة للانسانية •

(ب) تربية الطبيعة الانسانية فى ضوء الفكرين :

١ - من حيث الهدف :

اختلف الهدف فى الفلسفات الغربية لاختلافها فيما بينها ، ففى المثالية كان الهدف التربوى هو العمل على صقل العقل وتنقية الروح • وفى الطبيعية كان الهدف هو العمل على تحرير الانسان واشباع رغباته وميوله وفى الماركسية كان الهدف من التربية هو اعداد المواطن القادر على المساهمة فى الانتاج وفى الوجودية كان الهدف من التربية هو اعداد الفرد الحر الواعى القادر على الاختيار وتحمل المسئولية • وفى البرجماتية كان الهدف هو اعداد المواطن القادر على التكيف مع حياة المجتمع •

أما فى الفكر الاسلامى فان الهدف كان متنوعا وهو فى تنوعه كان يعالج جوانب الطبيعة الانسانية بشكل متكامل مرن •

٢ - ومن حيث المنهـــج :

فقد اختلف محتوى المنهج فى الفلسفات الغربية وفقا لاختلاف الأهداف فيها ، فمنهج المثالية عنى بالمواد الرياضية والمواد الأدبية والدينية التى تعنى بصقل العقل وتهذيب الروح • وفى الطبيعية عنى بالخبرات الطبيعية وبالمواد الطبيعية التى تمكن الفرد من معرفة الطبيعة التى يعيش فيها ، وفى الماركسية عنى المنهج بالمواد الرياضية والطبيعية ذات الطابع الأكاديمى والتكنولوجى • وفى الوجودية عنى المنهج بالدراسات الانسانية التى تكشف عن عظمة الانسان وقدرته على ممارسة حريته واتخاذ قراراته • وفى البرجماتية عن المنهج بالمواد الطبيعية والرياضية والانسانية مما يعمل على تعميق الاحساس بالذات الفردية واقدار التلميذ على العمل وكسب العيش •

أما فى الفكر الاسلامى فقد تميز المنهج بالعموم والشمولية بالشكل الذى يعمل على تنمية كل جوانب الطبيعة الانسانية فحوى المواد الرياضية والطبيعية والانسانية والأدبية والدينية وغير ذلك من ألوان المعارف والعلوم •

٣ - ومن حيث الطريقـــة :

وكما اختلف المنهج فقد اختلفت الطريقة أيضا فى الفلسفات الغربية فمنى المثالية اعتمدت الطريقه على الحفظ والتكرار • وفى الطبيعية قامت الطريقة على المعاياة والمعايشة والخبرات الحية • وفى الماركسية توزعت الطريقة مابين طريقة المشروع وطريقة الوحدات المركبة وطريقة الحفظ • وفى الوجودية قامت الطريقة على الحوار الحى ، كما قامت على الاقتداء وفى البرجماتية قامت الطريقة على النشاط •

أما فى الفكر الاسلامى فقد تعددت الطرق وتنوعت حسب تنوع مقتضيات الطبيعة الانسانية ، وطبيعة الظروف التى تمر بها •

بعد هذا يمكن القول بأن الاسلام قد قدم تصورا للطبيعة الانسانية متكاملا مرنـا يتلاءم مع تطورات العصر وأحداث الحياة ، وبحيث يعد المصدر

الأول فى التخطيط لتربية الانسان واعداده للمواطنة الصالحة . كما يمكن القول بأن الاسلام قد عالج تربية الطبيعة الانسانية معالجة حكيمة اتضحت من خلال الهدف الذى بينه ، والمنهج الذى أشار اليه ، والطريقة التى عرض لها .

وهكذا تتأكد أصالة الفكر الاسلامى ، وتتأكد ضرورة الرجوع اليه ، اذا كنا نريد البناء والتجديد ، باعتباره المصدر الأساسى لفلسفتنا التربوية ، تلك التى تتفق مع قيمنا ومثلنا وأساليب حياتنا .